الموت وما في القبر

بقلم

د. منال أبو العزائم

الموت وما في القبر

بقلم

د. منال أبو العزائم

2

المحتويات

مقدمة **13**

التعريف بالموت **15**

علامات الموت 15

تقدير الله للموت والحكمة من إخفاء موعده 17

الروح 20

إعجاز الله في الروح 20

ما يحدث للروح بعد الموت 21

مراحل الموت **24**

رؤية ملك الموت 24

سكرات الموت 25

علامات حسن وسوء الخاتمة 27

خروج روح الكافر **29**

نزول ملائكة سود الوجوه معهم المسوح 29

خروج روح الكافر كما ينزع السفود من الصوف المبلول 30

يأخذ ملك الموت روح الكافر على المسوح كأنتن جيفة.....31
تغلق أبواب السماء دون روح الكافر 31
كتابة كتابه في سجين وإعادة روحه لجسده 32
سؤال الملكان للكافر 32
يُضرب الكافر بمطرقة من حديد 33
يُفرش له فراش من النار ويفتح له باب من النار 33
ويُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه 34
يأتيه عمله الخبيث في هيئة رجل قبيح 34
يتمنى الكافر عدم قيام الساعة.....34
خروج روح المؤمن 36
تثبيت المؤمنين عند الموت 36
نزول ملائكة بيض الوجوه مع ملك الموت 37
تسيل روح المؤمن كالقطرة.....37
تخرج روح المؤمن كأطيب نفحة مسك.....38
صعود روح المؤمن إلى السماء وعودتها إلى الجسد 38

سؤال الملكين للمؤمن.....39
الشهادة في سبيل الله 41
شروط الشهادة 41
شهداء لم يجاهدوا 42
مكان أرواح الشهداء ودارهم 44
ليس كل من مات في الجهاد شهيد 45
ما بعد الموت.....48
غسل الميت 48
تكفين الميت 50
حفر القبر وفظاعة منظره.....51
سماع الميت لقرع نعال الناس.....53
حديث جامع عن مراحل الموت 54
حياة البرزخ.....57
القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار 58
عذاب القبر وصوره وأسبابه 59

هل عذاب القبر للروح أم البدن أم كليهما؟ 59
الأدلة للرد على منكري عذاب القبر.....60
أول ليلة للكافر في القبر 65
سماع البهائم لعذاب القبر 65
الضرب بمرزبة من حديد – للكافر 67
الغيبة وخمش الوجوه بأظافر من نحاس.....68
عدم الإستنجاء من البول 69
النميمة 69
ضيق القبر وإختلاف الأضلاع 70
إشتعال الشملة نار في القبر – الغلول في الغنيمة.....71
خسف الأرض والتجلجل إلى يوم القيامة – الكبر 73
الفطر في رمضان.....74
شق الرأس – لمن ينوم عن الصلاة المكتوبة 75
شق الشدق إلى القفا بواسطة كلُّوب – لمن يكذب 75
ضرب الرأس بصخرة – من تعلم القرآن ونام عنه ولم يعمل به 76

البقاء في ثقب مثل التنور به نار – للزناة 77
رجل يُلَّقم حجارة في نهر من الدم – لآكل الربا 79
دابة في القبر تضرب بسوط – لمن لا يجيب سؤال الملكين ...80
المعيشة الضنك هي عذاب القبر 81
تنين وحيات في القبر – الكفر.....81
عذاب أبو جهل.....82
عذاب اليهود في القبور 82
هل عذاب القبر من الغيب أو العيان؟.....83
أحاديث جامعة عن عذاب القبر 84
نعيم القبر.....**91**
رؤية المؤمن مقعده من النار أُبدل بمقعد من الجنة 91
قبر المؤمن في روضة خضراء يُفسح سبعين ذراع وينور له 92
العمل الصالح جليس له في صورة رجل حسن الثياب والوجه .92
أرواح أطفال المسلمين مع إبراهيم في روضة خضراء 93
دار عامة المؤمنين 94

كيفية النجاة من عذاب القبر 95

تجنب ما يسبب عذاب القبر 95

قراءة سورة الملك 95

الموت يوم الجمعة 96

الموت مرابطاً في سبيل الله 96

الصدقة تطفئ حر القبور 97

تحقيق رضى الله 97

العبادات 98

أنواع الموت 100

الموت الدنيوي 100

الوفاة الصغرى والفرق بين النوم والموت 101

الموتة الأولى 103

موت الدماغ 103

موت الفجأة 105

أمور تتعلق بالموت 107

مصيبة الموت 107
الخوف من الموت 108
الموت حق على كل نفس ولا يمكن الفرار منه 109
النهي عن تمني الموت 111
كراهية نسيان الموت..... 112
التوبة في كل حين وعدم إنتظار الكبر ودنو الأجل 113
شعور الإنسان بدنو أجله 114
من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه 115
لن يدخل أحداً عمله الجنة..... 116
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله..... 117
الأعمال بالخواتيم 118
النهي عن الترحم والإستغفار لمن مات مشركاً..... 120
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب 121
الرجاء في غفران الله لمن خافه..... 122
الصبر على مصيبة الموت..... 124

موسى والموت 125
السام الموت 126
أمور تتعلق بالموتى 127
المحتضر تمر عليه ذكريات حياته 127
عدم قبول التوبة عند الموت 128
تعذيب الميت ببكاء أهله 129
الإستعاذة من فتنة القبر 129
تحدي أهل الكتاب بتمني الموت 130
زيارة الأموات في الأحلام 131
السلام على الأموات في المقابر 132
أجسام الأنبياء لا تأكلها الأرض 133
الدعاء للأموات 134
الوصية والعدة والميراث والدين 135
الوصية عند حضور الموت 135
لا تجوز الوصية في أكثر من الثلث أو لوارث 137

قضاء دين المتوفي لكيلا يحبسه عن الجنة 138
عدة زوجة المتوفي 139
آية المواريث 140
أمور متعلقة بالقبور 143
زيارة المقابر فيها تذكرة 143
موتى مسلمين لم تتغير أجسادهم 144
ظاهرة العيش في المقابر 144
سماع أصوات في المقابر وتكسير ودمار 145
إشتعال قبور الكفار والعصاة 146
امرأة يلفظها القبر 147
لا تجعلوا بيوتكم قبورا 147
أمور متعلقة بالبعث والآخرة 148
الرد على منكري البعث 148
أمثلة تؤكد البعث وقدرة الله على إحياء الموتى 151
ذبح الموت 152

الخاتمة والتوصية 154

المراجع والمصادر 155

مقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد خلق الله تعالى الموت والحياة ليختبرنا ويرى أعمالنا ويجازينا عليها. إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. والموت هو أول منازل الآخرة. وعنده يعرف المرء مصيره إن كان إلى الجنة أو كان إلى النار. فبه يُقفل باب التوبة وتُرفع الأعمال، وينقطع عمل العبد إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

والموت حق لا يستطيع أحد أن ينجو منه. قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[1]. وبه تنتهي حياة الإنسان على الأرض ويُفجع به أهله وخلانه وأحبابه. وفيه يمر الإنسان بشدائد وسكرات الموت. ثم نزع الروح وصعودها إلى السماء

---

[1] الرحمن 26-27.

مع ملك الموت. فإن كانت طيبة فُتحت لها أبواب السماء وتم الترحيب بها وتبشيرها بكل خير. وأما إن كانت خبيثة فتُغلق دونها ولا يرحب بها. وتنزل بعدها إلى الأرض حيث يتم سؤال الملكين. وعلى الإجابة يكون ما بعدها. ويرى الميت مقعده من الجنة أو النار. فإن كان مؤمن يأتيه عمله الصالح يؤنسه ويجالسه. وإن كان كافر تضربه الملائكة بمطارق من حديد. وهكذا فإن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. وعذاب القبر ثبت بالكتاب والسنة. ولا ينكره إلا مكابر أو جاهل بالنصوص.

التعريف بالموت

الموت هو إنفصال الروح عن الجسد. وهو حق على كل الأحياء من إنسان وحيوان. وحتى الملائكة تموت. والناس تعرف الموت منذ زمن آدم وحواء عليهما السلام. وللشعوب فيه معتقدات مختلفة. فمنهم من يؤمن بأنه نهاية الحياة، ومنهم من يؤمن من بأنه الذهاب إلى الجنة، ومنهم من يؤمن بأن الروح ترجع إلى جسد حيوان أو إنسان آخر، وغيرها من الخرافات. ونحن المسلمين قد هدانا الله بفضله وأعلمنا أن الموت هو مفارقة هذه الحياة إلى الحياة البرزخية، والتي يتبعها الحياة الدائمة في المستقر سواء كانت جنة أو نار. قال الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)[2].

علامات الموت

[2] الأنعام 61.

وللموت علامات كثيرة، ومختلفة. وتختلف بإختلاف طريقة الموت وحالة المحتضر ومكانه وما يطرأ على بدنه وحواسه. فمنها:

- توقف الحركة.
- برودة الجسم.
- شخص البصر.
- توقف القلب عن النبض.
- فقدان الأطراف لقوتها وتصبح هامدة
- موت الدماغ وتوقف نضخ الدم إليه.
- توقف الأعضاء عن أداء مهامها.
- سيلان اللعاب أحياناً.
- عدم الإستجابة للمؤثرات الخارجية كالحرارة والبرودة والنغز والضرب ونحوه.
- عدم تحرك العينين أو الرمش.
- توقف التنفس وتوقف الرئتين عن الحركة الذاتية.
- أحياناً تخرج فضلات من الميت مثل البراز والبول لاسيما عند الغسل.

- الوقوع وعدم الإنتصاب والتكوم دون أي قوام ... أي إذا مات الشخص وكان واقفاً قبل الموت لوقع وكأنه كومة لحم.
- وأهمها موت الدماغ.

وهناك علامات أخرى. ولا يشترط حدوثها كلها، فقد تحدث بعضها. وقد لا تظهر هذه العلامات أحياناً كما في حالة من تشوه جسده مثل من مات محروقاً أو غرقاً أو أكلته الوحوش أو نحوها من الحالات التي تطمس معالم الجسم. أو مات في حادث سيارة وتمزق جسمه أشلاء.

تقدير الله للموت والحكمة من إخفاء موعده

لقد كتب الله لكل إنسان موعد أجله وهو لا يزال في بطن أمه. ولكنه أخفى موعد ذلك الأجل. قال تعالى: (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ)[3]. وقال: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ

[3] الواقعة 60.

الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). ولذلك الإخفاء حكم عدة، منها:

- إذا علم الإنسان موعد يومه لأصابه الفزع وقضى حياته خائفاً يترقب دنو ذلك الأجل. ولأفسد ذلك عليه حياته.
- وقد يشغله الخوف بعلم موعد أجله فيعجز عن العمل للآخرة. كالتلميذ الذي رأي موعد الإمتحان قد دنى فأصابه الهلع واليأس من عدم وجود وقت كاف للتحصيل ولم يستطع المذاكرة بسبب ذلك الخوف.
- إذا علم الإنسان موعد موته لتواكل على أنه سيعمل قبل موته وينال حسن الخاتمة بذلك، ودعاه ذلك للتهاون والتكاسل.
- إذا علم الورثة بذلك الموعد لتأهبوا وربما تشاجروا على الورث بمرأي من الميت قبل موته. ولتأذى بذلك الجدال ورؤية أن كل ما يهم أهله الآن هو المال ونسوا أنه سيموت.

ولم يخفى الله تعالى وقت الموت فقط، بل أخفى أيضاً كيفيته ومكانه. وأخفى عُمر الإنسان ورزقه ومن سيتزوج وعدد أبنائه وغيرها من الأقدار المكتوبة. وكلها لحكمة عنده. فقد يكون الإنسان في عمر

غير متهيأ لما كتبه الله في وقت ما ... ولكن بعد مرور الوقت يكون قد تهيأ لإستقبال ذلك القدر. فمثلاً لو قلنا لطالب ثانوي أنك ستدرس بكلية الإقتصاد لرفض الفكرة لأنه يريد أن يصير طبيباً، ولكن بعد ست سنوات نجده تخرج منها وهو سعيد بها بعدما درس سنة في كلية الطب ووجدها غير ممتعة ولا مناسبة له كما كان يظن في الماضي. ومثال آخر لو قلنا لفلان أنك ستتزوج فلانة وسيكون لك منها خمس أولاد لرفض الفكرة ولأنكرها. ولكن بعد عشر سنوات تبدل قلبه ووضعه وأصبح يرى في فلانة أنها ستكون مناسبة له. وهكذا هي أقدار الله ... تأتي في أوقاتها المناسبة لها والتي تكون أكثر قبولاً عن الإنسان بعد أن هيأ الله لها الظروف لتكون. فلو كشف الله للناس أقداره قبل هذه التهيئة لصعب عليهم تقبلها. ولذا في إخفاء أقدار الله عن الناس رحمة لهم. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[4].

---

[4] لقمان 34.

الروح

الروح هي أصل الحياة ... ومن دون وجودها في الجسد لا حياة لمخلوق على الأرض. وقد نفخ الله تعالى الروح في آدم بعد خلقه، فأصبح بذلك من الأحياء. قال تعالى: (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)[5]. وبنفخ الروح صارت الأعضاء تعمل والحواس تحس. قال تعالى: (ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ)[6]. ويمكن تعطل الأعضاء مع وجود الروح. ولكن لا يمكن أن تعمل الأعضاء بدون وجود الروح.

إعجاز الله في الروح

والروح من المعجزات الربانية الدالة على قدرة الله المطلقة. وهي ذلك الطيف الذي حيَّر العلماء والناس جميعا. وقد تساءل

---

[5] الحجر 29.

[6] السجدة 9.

الناس عنها قديماً وحديثاً. وحتى الصحابة – رضوان الله عليهم – سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءهم الرد من الله تعالى في قوله: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)[7].

وفي الروح إعجاز ينفرد به الله سبحانه وتعالى دون مخلوقاته. حيث لم يستطع أي مخلوق من أنس أو جن أو غيرهما أن يصنع روحاً. والإنسان مهما وصل من تقدم وتكنولوجيا في صناعة الإنسان الآلي، إلا أنه يعجز عن إدخال روح فيه أو حتى جعل له أحاسيس أو بديهة كما للناس. ولا يزال العلماء يتحيرون في أمر حقيقة الروح. وإن كانت هناك نظريات عدة إلا أن الحقيقة المطلقة عند الله بدليل أن لا أحد حتى الآن يستطيع أن يصنع روحاً.

ما يحدث للروح بعد الموت

[7] الإسراء 85.

بحسب ما وردت فيه النصوص فإن الروح عندما تخرج من الجسد وتحملها الملائكة إلى السماء ثم يرجعوها إلى الجسد في الأرض. بعدها تكون في الجسد وتحس بعذاب القبر. والذي يكون على الروح والجسد عند أهل السنة. وإستقرارها في الجسد يكون في شكل مخالف لما كانت عليه في الدنيا. فأثر وجودها لا يعيد الجسد إلى الحراك والحياة الطبيعية في الدنيا. "وأما رجوع روح الميت إليه في البرزخ فقد قال أهل العلم: إنها ترجع إليه رجوعا خاصا وفي بعض الأوقات كردها عند سؤال الملكين وتسليم المسلم عليه عند زيارته له، وهذا الرد لا يوجب حياة البدن قبل البعث، ولا يكون به الميت كما كان في الدنيا، فالحياة البرزخية حياة خاصة لا نعلم عنها إلا ما جاء في نصوص الوحي فهي تختلف عن الحياة الدنيوية وعن الحياة الأخروية، ولكنها تقتضي معرفة الميت لمن يزوره من الأحياء وسماعه لخطابهم . على الراجح . كما قال الإمام ابن القيم في كتاب الروح: والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف

زيارة الحي له ويستبشر به"[8]. فنحن نؤمن بما جاءت به النصوص وما خفي من كيفية حدوثه نفوضه إلى الله دون أن ننكره.

[8] فتاوى الشبكة الإسلامية، ما يؤنس الميت في قبره وهل ترد إليه روحه، فتوى رقم 130913,

مراحل الموت

لقد خلق الله تعالى الموت والحياة ليبتلينا ويختبرنا. فمن يحسن العمل يفوز بالجنة والنعيم ومن يسيئه ويكفر بالله ينتهي في نار جهنم. قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)[9]. وأكد لنا المولى عز وجل أن كل إنسان سيذوق الموت، وأنه يختبرنا بالخير والشر. حيث قال: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[10]. فلولا الموت لما كان هناك إمتحان ولا معنى لوجود الخليقة على وجه الأرض. ويمر الميت بمراحل عدة، هي:

رؤية ملك الموت

---

[9] الملك 2.

[10] الأنبياء 35.

وهو الملك الموكل بقبض الأرواح. وجاء في بعض الآثار أن إسمه عزرائيل، ولكن لم يرد في حديث صحيح. قال تعالى: (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)[11].

سكرات الموت

إن للموت سكرات عصيبة، لم ينجو منها حتى أشرف الخلق. قال الله تعالى: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ)[12]. وقال واصفاً حال الميت عندما يصارعه الموت وتصل روحه إلى الحلقوم وما يعانيه من شدة: (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)[13]. وهي أصعب مرحلة يمر بها الإنسان في حياته، ويعاني فيها من الألم والنصب ما يعلم به الله. وعندها يبدأ التحشرج

---

[11] السجدة 11.

[12] ق 19.

[13] القيامة 26-30.

وتخرج الروح في مراحل من جسمه ويشخص بصره إلى أعلى تابعاً لروحه. وقد تحدث هذه المرحلة في خلال ثوان أو تمتد لأيام.

وحتى النبي صلى الله عليه وسلم مر بتلك السكرات، حيث رُوي عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين يديه ركوة – أو علبة فيها ماء، يشك عمر – فجعل يدخل يديه في الماء، فيمسح بهما وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده)[14]. وعنها قالت: (مات النبي صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي صلى الله عليه وسلم)[15]. ويجهد الميت ويمر بآلام شديدة، حتى أنه رُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: "ما أحب أن تهون على سكرات الموت، إنه آخر ما يكفر به عن المرء المسلم"[16].

---

[14] البخاري 6510.

[15] أخرجه البخاري 4446.

[16] الزهد 362.

علامات حسن وسوء الخاتمة

وعند الموت تظهر عادة علامات قد تدل على حال الميت. فبعضهم مات مبتسماً كما حدث مع بعض الشهداء المخلصين، وبعضهم مات وهو ساجد، وبعضهم مات وهو يقرأ القرآن أو يصلى وبعضهم مات في الحج وغيرها من الصور الجميلة التي تبشر بالخير وحسن الخاتمة. وفي الجانب الآخر ترى بعض أهل المعاصي ماتوا على أسوأ حال مثل من مات وهو يشرب الخمر ومن مات وهو يزني ومن ماتت وهي ترقص وغيرها من الأحوال المخزية والتي تشير إلى سوء الخاتمة ولا تبشر بخير. وهذه العلامات نستأنتس بها ولا نجزم بحال الميت. فهناك من رحمه الله بعد موته على المعاصي كما في حال الرجل الذي قتل تسع وتسعين نفس وأخذته ملائكة الرحمة وهكذا. فمصير الإنسان علمه عند الله ولا نجزم لاحد بشي. فنعلم أن مات كافراً فهو إلى النار ... ومع ذلك لاندري ما صار مع الميت ... ربما عاش على الكفر طيلة حياته وأسلم في آخر يوم. فهذا يندر حدوثه ولكن قد وقع. وذلك فضلاً من الله تعالى يؤتيه من يشاء. وكذلك من مات على صلاح نرجو له النجاة دون جزم. فنحن لا نعلم قلوب

الناس وإخلاصهم. وكذلك هناك من تهلكه ذنوب الخلوات وهناك من يبدو على غير حاله. وقد قرأنا قصة الرجل الذي قُتل في الجهاد وقال الناس أنه شهيد فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه من أهل النار وذلك لإستعجاله الموت في آخر لحظة. وعادة من عاش حياته على طاعة يوفقه الله في الخاتمة، ومن عاش حياته على معصية يموت على معصية، وهكذا ... نسأل الله حسن الخاتمة.

خروج روح الكافر

تخرج روح الكافر بمشقة وعناء من بدنه. ويمر فيها بمراحل من العذاب والتنكيل. قال الله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[17]. ويكون قبض روحه في مراحل كما يلي:

نزول ملائكة سود الوجوه معهم المسوح

وإذا جاء أجل الكافر نزلت ملائكة سود الوجوه من السماء معهم المسوح وذلك قبل نزول ملك الموت. والمسوح "جمع المسح بالكسر، وهو اللباس الخشن"[18]. وكل ذلك يخيف ولا يريح منظره. فوجوه الملائكة سود مما يسبب الرهبة، وكذا حملهم لسفود خشن كلها إشارات إلى العذاب القادم والشر الذي ينتظره.

---

[17] الأنعام 93.

[18] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب ما يقال عند من حضره الموت، 1179/3.

ويتحسر الكفار والمنافقين عند عيان الموت ورؤية ملائكة العذاب، الذين ينتزعون أرواحهم نزعا. فيتمنون العودة للدنيا للإصلاح ولكن لا سبيل إلى ذلك. قال الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ)[19]. هذا غير تحسرهم يوم القيامة عند دخولهم النار الكبرى التي لا يحيون فيها ولا يموتون. فعند ذلك يتحسرون على عدم إيمانهم وعلى كفرهم وتكبرهم. قال تعالى: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)[20].

خروج روح الكافر كما ينزع السفود من الصوف المبلول

ويأتي ملك الموت يجلس عند رأسه ويقول له أخرجي أيتها النفس الخبيثة إلى سخط الله. فتتفرق الروح في جسده. فينتزعها ملك الموت كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. ومعنى السفود "الشوك أو الحديد التي يشوى بها اللحم. قال الطيبي: وتنزع نفسه مع العروق

---

[19] المؤمنون 99.

[20] مريم 39.

نزع السفود وهو الحديد التي يشوى بها اللحم فيبقى معها بقية من المحروق، فيستصحب عند الجذب شيئا من ذلك الصوف مع قوة وشدة "[21]. وهذا لابد وأن يكون مؤلم كثيرا. وجاء في الحديث عن لعنة روح الكافر عند خروجها: (لعنه كل شيء بين السماء والأرض إلا الثقلين)[22].

يأخذ ملك الموت روح الكافر على المسوح كأنتن جيفة

بعد ذلك يأخذ ملك الموت روح الكافر على المسوح كأنتن جيفة على الأرض. وهذا فيه تنكيل وإهانة له جزاء كفره بربه. وهذه بداية العذاب بعد سكرات الموت العصيبة التي مر بها.

تغلق أبواب السماء دون روح الكافر

---

[21] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب ما يقال عند من حضره الموت، 1179/3.

[22] أخرجه ابن جرير الطبري في مسند عمر 500/2، بإسناد صحيح.

تصعد الملائكة بروح الكافر إلى السماء، فتمر على ملائكة السماء ويستفتحون لها وينادونه بأقبح أسمائه ولا تفتح لهم أبواب السماء. وهذا تحقيرا وإذلالاً له وإظهار الرفض له والتنكيل به.

كتابة كتابه في سجين وإعادة روحه لجسده

فيُكتب كتابه في سجين في الأرض السفلى وتُعاد روحه لجسده، دون أن يُسمح لروحه دخول السماوات. ووردت في سجين معان مختلفة منها: " أنها حجارة مما كتب الله أنه يعذبهم بها"[23].

سؤال الملكان للكافر

بعد غلق أبواب السماء دون روح الكافر ونزولها لجسده في القبر يأتي الملكان منكر ونكير فيجلسانه ويسألانه عمن هو ربه وما هو دينه وما يقول في محمد صلى الله عليه وسلم، فيرد عليهما بقول

[23] تهذيب اللغة، أبواب الجيم والسين، 310/10.

"ها ها لا أدري". فيقولان له لا دريت ولا تليت. فينادي منادي من السماء أن كذب.

يُضرب الكافر بمطرقة من حديد

فيُضرب الكافر بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من بجانبه إلا الإنس والجن[24]. ومن رحمة الله عدم سماعنا لهذه الصرخة ولعذاب القبر ... حيث لو سمعناها لصعب علينا ذلك واشتد الخوف بنا وتوقفنا من السعي للدنيا والآخرة.

يُفرش له فراش من النار ويفتح له باب من النار

فتأمر الملائكة أن يُفرش له فراش من النار وأن يفتح له باب من النار. وهذا غاية الفظاعة ... تخيل لو أن فراشك الذي تنام عليه من نار كيف ستتحمله وتتحمل الرقاد عليه.

---

[24] أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بنحوه.

ويُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه

فيضيق عليه القبر وتختلف أضلاعه من ذلك الضيق. ولكم يكون هذا مؤلم، لو تخيلت أن أحدا يضغط على أضلاعك حتى تختلف في بعضها.

يأتيه عمله الخبيث في هيئة رجل قبيح

فيأتيه عمله الخبيث على هيئة رجل قبيح، ويقول له: أبشر بالذي يسوءك[25]. وفيه تيئيس له من رحمة الله، حيث يبشره بما يسوءه ويخشاه. قال تعالى: (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[26].

يتمنى الكافر عدم قيام الساعة

---

[25] أخرجه أبو داود (4753)، وأحمد (18557) باختلاف يسير، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصرا

[26] الأنعام 93.

عندها يتمنى الكافر عدم قيام الساعة، لخوفه من النار ولرؤية مقعده منها. فيقول الكافر رب لا تقم الساعة لرؤية مقعده من النار[27].

[27] نفس الحديث السابق.

خروج روح المؤمن

تخرج روح المؤمن بسهولة ويسر. فخير أيامه يوم يلقى الله تعالى ويفرح بالنجاة والبشرى بالجنة. وتبشر الملائكة بعدم الخوف والحزن. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ)[28].

تثبيت المؤمنين عند الموت

لقد وعد الله تعالى بتثبيت المؤمنين في القبر، حيث قال: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ) [29]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إذا أقعد المؤمن في قبره أتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن

---

[28] فصلت 30-32.

[29] إبراهيم 27.

محمدا رسول الله، فذلك قوله: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت}[30] ... وزاد شعبة: نزلت في عذاب القبر)[31].

نزول ملائكة بيض الوجوه مع ملك الموت

تنزل ملائكة بيض الوجوه قبل نزول ملك الموت، ويحملون كفن وحنوط من الجنة. ثم يأتي ملك الموت يجلس عند رأس المحتضر ليقبض روحه. فهم بيض الوجوه مما يجلب الفرح والبشر للميت وفيه أُنس له. ويحملون كفنه من الجنة. وفي كل هذا بشارة بالخير القادم للميت. عكس حال الكافر.

تسيل روح المؤمن كالقطرة

تخرج روح المؤمن بسهولة ويسر. حيث يقول ملك الموت: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. فتسيل كما

---

[30] إبراهيم 27.

[31] البخاري 1369.

تسيل القطرة. وهذا يدل عل سهولة خروجها من الجسد ... لأن القطرة من الماء تسيل بسهولة ويسر. قال الطيبي: "شبه خروج روح المؤمن من جسده بترشيح الماء وسيلانه من القربة المملوءة ماء مع سهولة ولطف"[32].

تخرج روح المؤمن كأطيب نفحة مسك

تخرج روح المؤمن كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض. ونفحة من "نفحت الريح: هبت"[33]. فهي روح طيبة ورائحتها طيبة.

صعود روح المؤمن إلى السماء وعودتها إلى الجسد

تصعد الملائكة بروح المؤمن إلى السماء فتفتح لها السماوات واحدة تلو أخرى. ويُكتب كتابه في عليين. قال صلى الله عليه وسلم:

---

[32] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، باب ما يقال عند من حضره الموت، 1179/3.
[33] لسان العرب، فصل النون، 622/2.

(...فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين) [34]. ثم يعيدوها إلى الأرض ليكون هناك الإمتحان في سؤال الملكان.

سؤال الملكين للمؤمن

بعد صعود روح المؤمن إلى السماء ونزولها إلى الجسد تأتي مرحلة سؤال الملكين. حيث يجلسان ويسألانه من ربه وما دينه وما يقول في محمد. فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقولا له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. وفي ذلك البشارة

---

[34] أخرجه أبو داود (4753)، وأحمد (18557) باختلاف يسير، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصرا.

بالنجاة والفرح بوعد الله. فيدعو الله أن يقم الساعة حتى يرجع إلى أهله وماله[35]. وقال ابن عباس – رحمه الله: "اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر منكر ونكير"[36]. وهذه أخطر مرحلة، وفيها يُتضح مصير الإنسان إن كان ذاهب إلى جنة أو نار. فمن ثبته الله في هذه المرحلة نرجو له النجاة.

---

[35] أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بتصرف.

[36] أخرجه السيوطي، المصدر: شرح الصدور، الصفحة أو الرقم: 176، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.

الشهادة في سبيل الله

الشهادة هي منزلة من مات مجاهداً في سبيل الله. وهي شرف عظيم وأجرها كبير للإنسان. وما من مؤمن إلا وهو يتمنى هذا الفضل. وذلك لوعد الله تعالى الشهداء بالجنة ومغفرة جميع ذنوبهم (إلا الدين). قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ). وقال صلى الله عليه وسلم: (ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)[37].

شروط الشهادة

ليس كل الشهداء يموتون في الجهاد. فهناك أنواع أخرى من الشهداء. ولكن شهيد الحرب هي أفضل درجات الشهادة. حيث

---

[37] أخرجه البخاري (2817)، ومسلم (1877).

قام صاحبها بالتضحية والجهاد في سبيل الله وقدم روحه لله. وثبت في المعركة وثبت على ملاقاة الموت دون أن يهرب. وصبر على الألم والخوف والجوع وكل ما يواجه المجاهدين في القتال. ولذا نال هذا الشرف العظيم. قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[38]. ولشهيد المعركة ثلاث قيود هي: "الموت حال القتال، وكونه قتال كفار، وكونه بسبب القتال"[39].

شهداء لم يجاهدوا

وهناك أنواع أخرى من الشهداء، لم يبذلوا من الجهد ما بذله شهيد المعركة. ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. وهي التي بينها

---

[38] التوبة 111.

[39] فتاوى الشبكة الإسلامية، شروط الشهادة.

لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله فذكر: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، وصاحب ذات الجنب، والحرق، والمرأة تموت بجمع)[40].

- المطعون: من مات بالطاعون. سألت عائشة النبي الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها: (أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابرا، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد)[41].
- المبطون: وهو من مات بمرض في بطنه.
- الغرق: هو من الموت أختناقاً في الماء.
- صاحب الهدم: من مات تحت ما وقع عليه من البنيان.

---

[40] أخرجه أبو داود (3111)، والنسائي (1846)، وابن ماجه (2803)، وأحمد (23804) باختلاف يسير.

[41] البخاري 5734.

- صاحب ذات الجنب: وهو "التهاب في غشاء الجنب، وعبارة عن غشاء مزدوج الطبقات الرطب الذي يحيط بالرئتين وخطوط القفص الصدري وهذا الالتهاب يجعل التنفس مؤلما للغاية"[42].
- المحروق من مات بالنار.
- المرأة تموت بجمع: وهي التي تموت في الولادة أو عند النفاس[43].
- الشهيد في سبيل الله: وهو المجاهد ومن يقاتل في صفوف المسلمين بنية نصرة الإسلام.
- من قُتِل دون ماله. قال صلى الله عليه وسلم: (من قتل دون ماله فهو شهيد)[44].

مكان أرواح الشهداء ودارهم

---

[42] ما هو مرض ذات الجنب، كفاية العبادي، موضوع، ١٥ نوفمبر ٢٠١٨م.

[43] شرح صحيح البخاري لابن بطال، باب الشهادة سبع سوى القتل، 43/5 (بتصرف).

[44] أخرجه مسلم (141).

لقد حثنا الله على الجهاد في سبيله ووعد الشهداء بمنزلة كبيرة وأجر عظيم، حيث قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[45]. وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في طير خضر، في حديثه: (أرواح الشهداء في طير خضر)[46]. وجاء ذكر وجود دار للشهداء في حديث مطول عن عذاب ونعيم القبر، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ، وشباب ... وأما هذه الدار فدار الشهداء).

ليس كل من مات في الجهاد شهيد

[45] آل عمران 169-170.

[46] أخرجه العيني في عمدة القارئ (158/14)، وحكم عليه بأن إسناده صحيح.

ليس كل من يموت في القتال في صفوف المسلمين شهيد. فهناك من يجاهد مرائياً للناس لنيل غرض من الدنيا. وهناك من تبدل حاله في أخر لحظة كمن ذكر في حديث سهل بن سعد الساعدي حيث قال: (التقى النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازيه، فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله، ما أجزأ أحد ما أجزأ فلان، فقال: إنه من أهل النار، فقالوا: أينا من أهل الجنة، إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه، حتى جرح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: وما ذاك. فأخبره، فقال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، فيما يبدو للناس، وإنه لمن أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار، فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة)[47].

---

[47] أخرجه البخاري (2898)، ومسلم (112).

وقصة ثانية عن شخص مات في الجهاد وظنه الناس شهيد، ولكن قال الرسول أنه رآه في النار بسبب شملة غلها. فقد جاء في الحديث: (لما كان يوم خيبر، أقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: فلان شهيد، فلان شهيد، حتى مروا على رجل، فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا، إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عباءة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا ابن الخطاب، اذهب فناد في الناس، أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون)[48].

[48] مسلم 114.

ما بعد الموت

إنتهاء مراحل الموت لا تعني النهاية أو الراحة بعد ذلك كما تعتقد بعض الشعوب. فبعدها مراحل وخطوات قبل أن يستقر كل ميت في قبره. ومنها تغسيل الميت، وتكفينه، وحفر القبر، والدفن، ثم إنصراف أهله ومشيعيه وتركه وحيداً في القبر وبداية حياة البرزخ له.

غسل الميت

تغسيل الأموات مهمة جليلة وصعبة في نفس الوقت، ولا يستطيع القيام بها إلا من أعطاه الله القوة لذلك. وذلك لشدة ما يرى من أحوال الموتى وتباينها. وكذلك رؤية الأموات يفزع الأحياء. وبعضهم يكون شكله مخيف مثل شخص البصر أو فزع الوجه وفتح الفم وغيره من التعابير المخيفة. وهذا غير الخوف من صحيان الميت أو حضور الشياطين أو سماع أصوات غريبة أو حدوث شيء مفاجيء. فكل ذلك يمكن أن يفزع المغسل. ولذا لابد يكون قوي ويتحمل هذه المناظر. فلا ينصح بمريض قلب أو صغير أو ضعيف بالقيام بتلك المهمة. كما أنه لابد أن يكون إنسان تقي ويحفظ

عورات المسلمين ويسترها ولا ينشر ما يرى من أحوالهم ويفضحهم. وجعل الله لمن يغسل ميتا ويستره أجر كبير. فقد رُوي عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من غسل ميتا فأدى فيه الأمانة وستر ما يكون عند ذلك، كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[49]. وفي رواية: (من غسَّل ميتًا فستره، ستره اللهُ من الذُّنوبِ، ومن كفَّنه، كساه اللهُ من السُّندُسِ)[50]. وعليه القيام بالغسل بعد غسل الميت، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: (من غسل ميتا فليغتسل)[51]. وكفى بتغسيل الأموات فائدة في الموعظة ويقظان القلب وتذكر الموت والإستعداد له. وهذا غير الأجر العظيم لمن تولى هذه المهمة.

---

[49] أخرجه عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى: 124/2، وحكمه: سكت عنه، وقد قال في المقدمة: وإن لم تكن فيه علة كان سكوتي عنه دليلا على صحته.

[50] صححه الألباني في صحيح الجامع (6403)، وقال حسن. وأخرجه الطبراني (337/8) (8077) واللفظ له، وابن بشران في ((الأمالي)) (1647)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (9267) باختلاف يسير.

[51] صححه الألباني في صحيح الجامع (6404).

وشهداء الحرب لا يغسلون ويكفنون في ثيابهم التي استشهدوا فيها، وذلك بخلاف غيره من الشهداء. قال ابن قدامة: "فأما الشهيد بغير قتل كالمبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم والنفساء، فإنهم يغسلون ويصلى عليهم، لا نعلم فيه خلافاً"[52].

تكفين الميت

الكفن هو سترة للميت. ويُكَفَّن المسلم في ثلاث أثواب على سنة النبي صلى الله عليه وسلم. فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها قالت: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض، سحولية من كرسف ليس فيهن قميص ولا عمامة)[53]. وقال الشافعي – رحمه الله -: (ويوضع الميت من الكفن بالموضع الذي يبقى من عند رجليه منه اقل مما عند

---

[52] المغنى 405/2.

[53] البخاري 1264.

رأسه ثم يثنى عليه صنفة الثوب الذي يليه)[54]. ويستحسن للمسلم أن يبقي في بيته كفن تحسباً للظروف إن مات أحد من أهل بيته فليس من السهل البحث عن كفن وشرائه. كما أنه يذكر المرء كثيرا بمصيره إلى الموت فيشجعه على العمل والجد في طلب الآخرة.

حفر القبر وفظاعة منظره

إن اللحد أو القبر هو ما يستقر فيه الميت ويُدفن فيه. قال تعالى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)[55]. وعن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم — قال: إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ما رأيت

---

[54] مختصر المزني (174/1).

[55] عبس 21.

منظرا قط إلا والقبر أفظع منه)[56]. والفرق بين القبر واللحد أن "القبر اسم عام يطلق على كل مدفن للميت، أما اللحد فهو طريقة خاصة بأن يحفر في جانب القبر للميت"[57]. وأما "الضريح فهو الشق في وسط القبر. واللحد في الجانب"[58].

والقبر سواء كان به لحد أو ضريح فظيع المنظر وموحش. فهو فوقه تراب وعن يمينه وشماله وتحته. ولو نظر إليه الإنسان وتخيل أنه سيبقى في ذلك المكان وحيدا دون ضوء ولا نور ولا طعام ولا شراب ولا رفاق ... وليس فيه جوال ولا كمبيوتر ولا تلفاز ولا أي نوع من أنواع التسلية ... لصعب عليه وضاقت به الدنيا بما رحبت. فلا أنيس في القبر إلا عمله الصالح إن وُجِد. فيا للهول واللا–معقول في عالمنا. فإن السجين لو وضع في حبس إنفرادي لمدة شهر لضاقت

---

[56] أورده الألباني في هداية الرواة (128)، وحكمه: إسناده حسن.

[57] القبر، موسوعة التفسير الموضوعي.

[58] موسوعة التفسير الموضوعي، ضرح، 386/1.

عليه حياته، فكيف بنا نحن سندفن في هذه القبور وسنكون فيها لسنين ودهور لا يعلم مداها إلا الله.

سماع الميت لقرع نعال الناس

يسمع الميت أصوات أحذية المصلين عندما أن ينصرفون ويتركونه في القبر. عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: (العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم)[59]. ولا شك أن هذا سيكون إحساس مروع بالنسبة له. حيث لو تخيل المرء أنه تُرك وحيداً في صحراء مقفرة لفزع وخاف، فكيف بمن يُترك في حفرة تحت الأرض ويسمع صوت أهله ورفاقه ومعارفه ينصرفون عنه. ربما لو حاول أن يناديهم لم يستطع ولم يسمعوه. فلن يبقى معك حينها سوى عملك. فاعمل بجد له وأخلص عملك لله.

---

[59] أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بنحوه.

حديث جامع عن مراحل الموت

وكل ما سبق شرحه ذكره من أحوال روح المؤمن والكافر وما يمرون به ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث واف شاف متقن رواه البراء بن عازب، في قوله: (خرجنا مع رسول الله فذكر مثله إلى أن قال فرفع لرأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كان يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى

السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين أعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول ربي الله فيقولان ما دينك فيقول ديني الإسلام فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما عملك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقته فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب

قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري قال فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادي منادي من السماء أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول له أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت

فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة)[60].

حياة البرزخ

ثم بعد الدفن تبدأ حياة الميت في البرزخ. والبرزخ مصطلح يطلق على الحياة بعد الموت وقبل قيام الساعة. قال تعالى: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[61]. ومعنى البرزخ الحاجز. كما قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا)[62]. أي هو الذي جعل بين البحرين حاجزا يفصل الماء العذب من الماء المالح. فهو الحاجز بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة.

---

[60] أخرجه أبو داود (4753)، وأحمد (18557) باختلاف يسير، والنسائي (2001)، وابن ماجه (1549) مختصرا

[61] المؤمنون 99-100.

[62] الفرقان 53.

وهذه الحياة البرزخية قد تكون في نعيم أو شقاء، حسب عمل العبد وخاتمته. فهو أول مراحل الآخرة والتي يتبعها أهوال القيامة والحساب ثم الجزاء الأبدي.

القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار

والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. قال صلى الله عليه وسلم: (القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)[63]. وفيه إما أن يكون الميت مؤمن ينعم ويتشوق لقيام الساعة لينال مقعده في الجنة، ويأتيه عمله الصالح فيؤنسه. فيكون إرتاح من عناء الدنيا وابتلائها وصار إلى راحة ونعيم في قبره. وأما أن يكون كافر فيشتعل عليه القبر نارا ويرى مكانه في النار ويعاني عذاب القبر وصنوفه الفظيعة. تملأه الحسرة والألم.

---

[63] أخرجه الترمذي (2460) مطولا واللفظ له، والديلمي في ((الفردوس)) (4682)، وابن عساكر في ((معجم الشيوخ)) (1091) باختلاف يسير.

عذاب القبر وصوره وأسبابه

إن عذاب القبر من الغيبيات التي تم ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع. وهناك من ينكر عذاب القبر. ومعظمهم القرآنيين الذين لا يؤمنون بالسنة. وذلك رغم ما جاء في القرآن من وجوب طاعة الرسول والأخذ بسنته وما جاء به. قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[64]. وقد جاءت الردود من نصوص القرآن والسنة على من أنكر الموت وعذاب القبر والبعث بعد الموت.

هل عذاب القبر للروح أم البدن أم كليهما؟

في المسألة أقوال. وأهل السنة والجماعة على أن العذاب يقع على الروح والبدن معاً. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم

---

[64] الحشر 7.

النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذِه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن"[65]. "ووافقه في ذلك ابن أقيم. والقول الثاني وهو لبعض المعتزلة وهو نكرانهم للنعيم والعذاب في القبر بحجة نكرانهم لوجود الروح دون الجسد. فلا نعيم ولا عذاب عندهم حتى البعث. والفلاسفة يرون أن النعيم والعذاب على الروح وحدها"[66]. وأقول: قولهم هذا باطل بدليل الأحاديث المذكورة والتي لم تفصل الروح عن الجسد. بل أكدت على النعيم والعذاب الذي يقع على الروح والبدن بعد نزول الروح من السماء ورجوعها إلى البدن. ووصف العذاب بأنه على البدن وبالطبع لا يمكن للبدن أن يشعر بدون روح.

الأدلة للرد على منكري عذاب القبر

---

[65] التوضيح لشرح الجامع الصحيح، باب من رفع صوته بالعلم، 263/3.

[66] شبكة إسلام أونلاين، عذاب القبر ونعيمه بالروح أم بالجسد (بتصرف شديد).

وهناك آيات دالة على عذاب القبر، إما صراحة أو بتفسيرها. وكذلك أحاديث كثيرة تثبت عذاب القبر وتفصله بأشكاله ومسبباته. ونذكر من الآيات ما يلي[67]:

- قوله تعالى عن الكفار: (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[68].
- قوله تعالى عن عذاب الظالمين في سكرات الموت وخروج الروح: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[69].

---

[67] مقتطف من موضوع أثني عشر دليلا من القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيم، د. محمد بن علي بن جميل المطري، موقع الألوكة (بتصرف شديد).

[68] الأنفال 50-51.

[69] الأنعام 93.

- قوله تعالى عن عرض النار على آل فرعون وهم في قبورهم: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[70].
- قوله تعالى عن المنافقين أنهم سيعذبون مرتين، في قوله تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)[71]. قال مقاتل: "سنعذبهم مرتين عند الموت تضرب الملائكة الوجوه والأدبار وفي القبر منكر ونكير ثم يردون إلى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم"[72]. وقال السعدي في معنى (سنعذبهم مرتين): "بالقتل والسبي والفضيحة في الدنيا، وبعذاب القبر بعد الموت، ثم يُرَدُّون يوم القيامة إلى عذاب عظيم في نار جهنم"[73].

---

[70] غافر 46.

[71] التوبة 101.

[72] تفسير مقاتل بن سليمان، 183/2.

[73] التفسير الميسر، الباب 101، 203/1.

- قوله تعالى في قوم نوح: (مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا)[74].
- قال أبي عبيدة في قوله: (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[75]. قال: عذاب القبر)[76].

وأما من السنة فهناك الكثير جداً من الأحاديث التي تحدثت وفصلت في عذاب القبر صراحة وبكل تأكيد. بل وذكرت تفاصيل دقيقة عنه، مثل صنوفه والذنوب التي تسببه وقصص وقعت عنه. نأخذ منها حديث أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما – أنها قالت: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة)[77]. وكذلك حديث عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – قالت: (دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل

---

[74] نوح 25.

[75] السجدة 21.

[76] الزهد، باب عذاب القبر، 211/1.

[77] البخاري 1373.

القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل علي النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين، وذكرت له، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر)[78].

وبعد هذا الكم من الآيات والتفاسير والأحاديث كيف يمكن لعاقل نكران عذاب القبر ونعيمه، إلا إذا كان مكابراً أو منافقاً أو جاهل وقليل الإدراك. فشيء أثبته النبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا أن ننكره. وقد أمرنا الله تعالى بتصديقه وإتباعه. فعذاب القبر واقع لا محالة ... فهلا نحسن العمل حتى نتقيه. ونشمر ونجد في الطلب والسعي للنجاة بدلا من الجدال المهلك. والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. قال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ)[79]. نسأل الله السلامة والعافية وحسن الخاتمة.

---

[78] أخرجه البخاري (6366)، ومسلم (586).

[79] آل عمران 195.

أول ليلة للكافر في القبر

أول ليلة في القبر هي أهم ليلة في حياة الإنسان الأبدية. ففيها يجيب سؤال الملكان وفيها يرى مقعده من الجنة أو النار وفيها تصعد روحه للسماء مع ملك الموت. فإن حاله فيها خير وسرور إن كان من الفائزين وأصحاب اليمين. وأما إن كان من الكفار وأصحاب الشمال فستكون ليلة عصيبة عليه. وستضربه الملائكة في وجهه ودبره. قال تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ). وقال: (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)[80]. وضرب الوجوه فيه إهانة وذل، وهذا غير ما يصاحبه من الألم الشديد.

سماع البهائم لعذاب القبر

[80] محمد 27.

تسمع البهائم أصوات عذاب القبر. ولا يسمعهما الثقلين من الإنس والجن. فقد قالت عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها: (دخلت علي عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل علي النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين، وذكرت له، فقال: صدقتا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد في صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر)[81]. وهذا يعني أن اليهود يؤمنون بعذاب القبر. وفي هذا مزيد من التأكيد على وجوده. فهو لم يذكر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل ذُكِر أيضا في الشرائع الأخرى وأُشير إليه في القرآن الكريم. وهناك أحاديث مطولة ذكرت تفاصيل كثيرة عن عذاب القبر وصوره ومسبباته. ونستخلص منها فوائد ثم نذكرها كاملة لتكملة الصورة. ومنها:

---

[81] أخرجه البخاري (6366)، ومسلم (586).

الضرب بمرزبة من حديد – للكافر

بعد نزول روح الكافر إلى جسده وصدها من دخول السماء، يأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويلحفان الأرض بأشعارهما. أصواتهما كالرعد القاصف فيجلسانه ثم يقولان يا هذا من ربك فيقول لا أدري فينادي من جانب القبر مناد لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها ما بين الخافقين لم يقلوها يشتعل منها قبره ناراً [82]. وفي رواية: (العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعا، وأما الكافر – أو المنافق – فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا

[82] ذكره ابن جرير الطبري في مسند عمر 500/2، بإسناد صحيح.

تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)[83].

الغيبة وخمش الوجوه بأظافر من نحاس

وهي ذكرك أخاك بما يكره. قال صلى الله عليه وسلم: (أتدرون ما الغيبة؟ ذكرك أخاك بما يكره، إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)[84]. وهي ذنب كبير ومن مسببات عذاب القبر. فعن أبو بكرة نفيع بن الحارث قال: (مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير وبكى وفيه وما يعذبان إلا في الغيبة والبول)[85]. وهي سبب في إفساد ذات البين والفرقة والشجار وتفكك المسلمين. ولذا جاء الوعيد فيها شديد. قال صلى الله عليه وسلم: (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من

---

[83] أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بنحوه.

[84] مسلم 2589.

[85] ابن ماجه (349) باختلاف يسير، وأحمد (20373) مطولا

نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)[86].

عدم الإستنجاء من البول

عدم الإستنجاء من البول من أسباب عذاب القبر. فعن أبو هريرة رضي الله عنه قال: (استنزِهوا من البَوْلِ، فإنَّ عامَّةَ عذابِ القبرِ منه)[87]. والإستنجاء من سنن الفطرة. وتركه سبب في عذاب القبر. عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة، قال وكيع: انتقاص الماء: يعني الاستنجاء)[88].

النميمة

---

[86] أخرجه أبو داود (4878)، وأحمد (13340) باختلاف يسير.

[87] الدارقطني (128/1).

[88] مسلم 261.

النميمة من مسببات عذاب القبر. وذلك لأنها تسبب المشاكل بين الناس وتؤدي إلى فساد ذات البين. فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما قال: (مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يعذبان، وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة. ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو: إلى أن ييبسا)[89].

ضيق القبر وإختلاف الأضلاع

[89] أخرجه البخاري (216) واللفظ له، ومسلم (292).

لقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن القبر يضيق بصاحبه حتى تختلف أضلاعه، وذلك في قوله فيمن رد على سؤال الملكين عمن ربه بلا أدري: (ويضيق قبره حتى تختلف أضلاعه)[90].

إشتعال الشملة نار في القبر – الغلول في الغنيمة

الغلول في الغنيمة من أسباب عذاب القبر وإشتعاله ناراً على صاحبه. فعن أبى هريرة – رضي الله عنه – أنه قال في العبد الذي أصابه سهم عائر، فمات، فقال له الناس: هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشعل عليه نارا، فجاء رجل بشراك أو شراكين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: شراك من نار، أو شراكان من نار)[91]. والمتأمل لهذا الحديث يصيبه الرعب ويراجع نفسه مراراً ويبحث في ذاكرته إن كان أخذ أي شيء بدون

---

[90] ذكره ابن جرير الطبري في مسند عمر 500/2، بإسناد صحيح.

[91] أخرجه البخاري (6707)، ومسلم (115) مطولا، والبيهقي معلقا في ((السنن الصغير)) (2875) واللفظ له.

وجه حق أو حق لشخص آخر أو للمال العام. وقد رأينا بعض ضِعاف الإيمان يفعلون أمور منكرة ولا يلقون لها بالاً. فمنهم من يأخذ الورق من المكاتب ومنهم من يأخذ السماعات من الطائرات، ومنهم من يخرب المرافق العامة كمحطات الأتوبيس ويرسم عليها ومنهم من يأخذ صدقات الناس ليودعها في بنكه وغيرها الكثير من الصور. بل إن منهم من لا يكتفي بالأشياء الصغيرة ويسرق المال العام. فيضيع حقوق المسلمين وأموالهم. ونسي أو تناسى أن أصحاب الحقوق سيكونون خصمائه يوم القيامة يطالبونه بحقوقهم. قال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[92]. فهلا يتوبوا من هذه الأفعال قبل الممات.

تقريض الشفاه بمقاريض نار للخطيب الذي يقول ما لا يفعل

تقريض الشفاه بمقاريض من نار لمن يقول ما لا يفعل ويقرأ الأمر بالمعروف وعدم إتيانه والنهي عن المنكر وإتيانه من مسببات عذاب القبر. وهذا عادة يصدر من أشباه المنافقين، حيث يعملون

[92] الزلزلة 8.

الأعمال حتى يحمدهم الناس ثم تجدهم في الخلوات يفعلون الصغائر والكبائر ولا يستحضرون أن الله يراهم. قال صلى الله عليه وسلم: ("مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟، من هؤلاء؟، قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون به)[93]. فهؤلاء عذابهم شديد في القبر، حيث تُقرض شفاههم بمقاريض من نار والعياذ بالله. وإن كانوا من أهل النفاق العقدي سيكونون في الدرك الأسفل من النار.

خسف الأرض والتجلجل إلى يوم القيامة – الكبر

الكبر من الصفات التي تسبب عذاب القبر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)[94]. والكبر

---

[93] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، من أسباب عذاب القبر، الأمر بالمعروف وعدم إتيانه والنهي عن المنكر وإتيانه، 119/2 بترقيم الشاملة.

[94] أخرجه البخاري (5789)، ومسلم (2088) باختلاف يسير.

صفة ذميمة تمنع صاحبها من دخول الجنة. قال تعالى: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ)[95].

الفطر في رمضان

الصوم من العبادات التي تزود عن صاحبها في القبر وتحميه من عذاب القبر. والفطر في رمضان من أسباب عذاب القبر. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل الإنسان قبره، فإن كان مؤمنا أحف به عمله، الصلاة والصيام، قال: فيأتيه الملك من نحو الصلاة، فيرده، ومن نحو الصيام، فيرده ...)[96]. والصوم جنة ونجاة لصاحبه، حيث يدخل الصائمون الجنة من باب الريان. وهو ركن من أركان الإسلام. وتركه كبيرة من الكبائر. قال صلى الله عليه وسلم: (من أفطر يوما من

---

[95] غافر 76.

[96] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، 53/3، وحكمه: رجال أحمد رجال الصحيح. وأخرجه أحمد (27021)، والطبراني (105/24) (281) باختلاف يسير.

رمضان، في غير رخصة رخصها الله له، لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه)[97].

شق الرأس – لمن ينوم عن الصلاة المكتوبة

النوم عن الصلاة المكتوبة تؤدي إلى عذاب القبر، وذلك بثلغ رأسه أي "شقه"[98]. فعن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا، قال: (أما الذي يثلغ رأسه بالحجر، فإنه يأخذ القرآن، فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة)[99]. والصلاة من أهم أركان الإسلام ومن يتركها فقد كفر.

شق الشدق إلى القفا بواسطة كلُّوب – لمن يكذب

---

[97] الجامع الصغير 8473.

[98] انظر شرح الحديث في موسوعة الدرر السنية.

[99] البخاري 1143.

الكذب من الذنوب التي يفعلها البعض دون وعي ولا يلقون لها بالا. وهو في غاية الخطورة. حيث هو سبب في عذاب القبر وعذاب النار. وقد ورد في لون العذاب الذي يلحق صاحبه في قوله صلى الله عليه وسلم: (... فإذا رجل جالس، ورجل قائم، بيده كلوب من حديد قال بعض أصحابنا عن موسى: إنه يدخل ذلك الكَلُّوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، ... أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة ...)[100]. والكَلُّوب هو "حديدة معطوفة كالخطاف معوجة الرأس"[101].

ضرب الرأس بصخرة – من تعلم القرآن ونام عنه ولم يعمل به

---

[100] البخاري 1386.

[101] لسان العرب لابن منظور، كلب، 12/ 136.

قال صلى الله عليه وسلم: (... رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر – أو صخرة – فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، ... والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة ...)[102]. فتعهد القرآن بالحفظ والتلاوة والقراءة والفهم والتفسير والتدبر والإعراب ومعرفة المعاني وإستخراج الأحكام والمقاصد ووجوه البلاغة والإعجاز اللغوي والبلاغي ووجوه علوم القرآن والقراءات وغيرها ... كل ذلك فيه خير كثير وفائدة للمرء بزيادة إيمانه ويقظة قلبه.

البقاء في ثقب مثل التنور به نار – للزناة

الزنا من كبائر الذنوب التي توجب عذاب النار. كما أنه سبب في عذاب القبر. وقد جاء ذكره في حديث عذاب القبر الطويل

---

[102] البخاري 1386.

بقوله صلى الله عليه وسلم: (... ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، --- والذي رأيته في الثقب فهم الزناة ...)[103]. هذا غير تبعاته وأضراره في الدنيا من فضيحة وعار ودمار نفسي وإجتماعي وتلوث للسمعة والمكانة الاجتماعية. وهو ينقل أمراض عضال مثل الأيدز والهربس وغيرهما. وقد يكتشف أمر الزاني فيقام عليه الحد على مرأى من الناس، أو يعيش الزاني بذنبه ويعاني ويلات الندم وتأنيب الضمير. قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[104]. وإقامة

---

[103] البخاري 1386.

[104] النور 2-3.

الحد على مرأى من الناس فيه إذلال وتحقير يردع كل من تحدثه نفسه بفعل تلك الفاحشة، حيث يخاف الفضيحة بالإضافة إلى ألم العقوبة.

رجل يُلَّقم حجارة في نهر من الدم – لآكل الربا

وعذاب آكل الربا في القبر أنه يُلقم حجارة في فمه. قال صلى الله عليه وسلم: (... فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، ... والذي رأيته في النهر آكلوا الربا ...)[105]. والربا من الموبقات السبعة وكبيرة من الكبائر. قال صلى الله عليه

[105] البخاري 1386.

وسلم: (اجتنبوا السبع الموبقات (وذكر منهم) أكل الربا)[106]. وجاء في صحيح البخاري: (لعن الله آكل الربا)[107].

دابة في القبر تضرب بسوط – لمن لا يجيب سؤال الملكين

تُسلط ثعابين في القبر للكافر. فعن أسماء بنت أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا دخل الإنسان قبره ... وكان فاجرا أو كافرا، قال: جاءه ملك، ليس بينه وبينه شيء يرده، قال: فأجلسه، قال: اجلس، ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد، يقول: ما أدري، والله سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، قال: فيقول له الملك: على ذلك عشت، وعليه مت، وعليه تبعث، وتسلط عليه دابة في قبره، معها سوط ثمرته جمرة مثل [عرف] البعير، تضربه ما شاء الله، صماء لا تسمع صوته فترحمه)[108].

---

[106] أخرجه البخاري (2766)، ومسلم (89).

[107] البخاري 5347.

[108] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، 53/3، وحكمه: رجال أحمد رجال الصحيح. وأخرجه أحمد (27021)، والطبراني (105/24) (281) باختلاف يسير.

المعيشة الضنك هي عذاب القبر

لقد ذكر الله تعالى أن من يعرض عن ذكره فإن له معيشة ضنكا. وذلك في قوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ)[109]. ويقصد بالمعيشة الضنك عذاب القبر كما بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه: (أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال: أتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: عذاب الكافر في قبره،)[110]. والضنك هو الضيق[111].

تنين وحيات في القبر – الكفر

ورد في حديث حسن تسلط تسع وتسعون تنيناً على الميت الكافر. قال صلى الله عليه وسلم: (... عذاب الكافر في قبره،

---

[109] طه 124.

[110] أخرجه الألباني في صحيح الترغيب (3552)، وخلاصة حكمه: حسن.

[111] مجمل اللغة لابن فارس، باب الضاد والهاء وما يثلثهما، 567.

والذي نفسي بيده إنه يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا، أتدرون ما التنين؟ تسعون حية لكل حية سبع رؤوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة)[112].

عذاب أبو جهل

عن مسلم قال: (أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، رأيت رجلا يخرج من الأرض وعلى رأسه رجل في يده مرزبة من حديد، كلما أخرج رأسه ضرب رأسه فيدخل في الأرض، ثم يخرج من مكان آخر، فيأتيه فيضرب رأسه، قال: ذاك أبو جهل بن هشام، لا يزال يصنع به ذلك إلى يوم القيامة)[113]

عذاب اليهود في القبور

---

[112] أخرجه الألباني في صحيح الترغيب (3552)، وخلاصة حكمه: حسن..

[113] المصنف في الأحاديث والآثار، مصنف ابن أبي شيبة، 6/ 175 ت الحوت، 30478.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود يُعذبون في قبورهم. فعن أبي أيوب الأنصاري أنه قال: (خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس، فسمع صوتا فقال: يهود تعذب في قبورها)[114]. وربما هذا يبرد قلوب أهل فلسطين ويثلج صدورهم، بما عذبهم اليهود في الدنيا وأذاقوهم صنوف الذل والهوان والألم. وقتلوا رجالهم وأسروا أطفالهم واغتصبوا نساءهم. عليهم لعنة الله والناس أجمعين.

هل عذاب القبر من الغيب أو العيان؟

عذاب القبر من الأمور الغيبية التي أخبرنا بها النبي صلى الله عليه وسلم، وأشار إليها الله في القرآن الكريم. ولكن رُصدت حالات نادرة لرؤيته أو رؤية علامات له. وقد أسمعه الله للنبي صلى الله عليه وسلم. فهو مخفي عن عامة الناس. ولكن يظهره الله لمن يشاء من عباده وله في ذلك حكمة. فلو أظهره على كل الناس لسهل

[114] أخرجه البخاري (1375)، ومسلم (2869).

الإمتحان ولآمن الناس جميعاً. وقد سمعه ورأي علامته القليل ربما لهدايتهم وتشجيعهم على التوبة والرجوع.

أحاديث جامعة عن عذاب القبر

إن لعذاب القبر أسباب عدة، ذكرت في أحاديث متفرقة. ومنها أحاديث جامعة وطويلة. ومنها جمعنا الفوائد السابقة. نذكر منها حديث سمرة بن جندب والذي له عدة روايات وهو حديث طويل وجامع لصنوف وأشكال لعذاب القبر وأسبابه. ونصه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق قال: فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه

بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، – قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق – قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور – قال: فأحسب أنه كان يقول – فإذا فيه لغط وأصوات قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق قال: فانطلقنا، فأتينا على نهر – حسبت أنه كان يقول – أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرا قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق قال: فانطلقنا، فأتينا على رجل كريه المرآة، كأكره ما أنت راء رجلا مرآة، وإذا عنده نار يحشها

ويسعى حولها قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة، فيها من كل لون الربيع، وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل، لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال: قلت لهما: ما هذا ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق قال: فانطلقنا فانتهينا إلى روضة عظيمة، لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال: قالا لي: ارق فيها قال: فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها، فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال: وإذا نهر معترض يجري كأن ماءه المحض في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة قال: قالا لي: هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال: فسما بصري صعدا فإذا قصر مثل الربابة البيضاء قال: قالا لي: هذاك منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذراني فأدخله، قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله قال: قلت لهما: فإني قد رأيت منذ الليلة عجبا، فما هذا الذي رأيت؟ قال: قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه

بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا، وأما الرجل الكريه المرآة، الذي عند النار يحشها ويسعى حولها، فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر قبيحا، فإنهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، تجاوز الله عنهم)[115].

[115] البخاري 7047.

وفي حديث آخر مشابه له، ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لنا صنوف من العذاب وأنواع الذنوب التي تسببه. فعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله فسألنا يوما فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا، قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي، فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجل جالس، ورجل قائم، بيده كلوب من حديد قال بعض أصحابنا عن موسى: إنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر – أو صخرة – فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، قلت: من هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت: من هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا

حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر – قال يزيد، ووهب بن جرير: عن جرير بن حازم – وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب، ونساء، وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ، وشباب، قلت: طوفتماني الليلة، فأخبراني عما رأيت، قالا: نعم، أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة، والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة، والذي رأيته في الثقب فهم الزناة، والذي رأيته في النهر آكلوا الربا، والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان، حوله، فأولاد الناس والذي يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى

التي دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا فوقي مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك، قلت: دعاني أدخل منزلي، قالا: إنه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملت أتيت منزلك)[116].

[116] البخاري 1386.

نعيم القبر

كما رأينا صنوف عذاب القبر وأهواله، نبحث الآن عن نعيم القبر وروعته. فالمؤمن يحرص على تعلم النعيم كما يحرص على تعلم العذاب وأسبابه. فهذا يكون أقوى داعياً لله للجد في الطلب والسعي إلى الجنة ورضا الله ودعائه بين الرجاء والخوف. ومن نعيم القبر الذي ورد في النصوص:

رؤية المؤمن مقعده من النار أُبدل بمقعد من الجنة

يرى المؤمن مقعده من النار قد أُبدل بمقعد في الجنة، وذلك بعد جوابه لسؤال الملكين. فعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: (العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من

الجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فيراهما جميعا)[117]. وهذا فضل من الله وبشارة للمؤمنين ... تفرحهم في قبورهم وتطمئنهم بالنجاة والفوز بالجنة وتربط على قلوبهم بعلمهم أنهم ليسوا من أهل النار. وفيها أنس لهم في قبورهم يصبرهم على فراق أهلهم وديارهم.

قبر المؤمن في روضة خضراء يُفسح سبعين ذراع وينور له

قبر المؤمن يُفسح له فيه سبعين ويُنور له فيه. وهو روضة خضراء. قال صلى الله عليه وسلم: (إن المؤمن في قبره لفي روضة خضراء، فيرحب له (في) قبره سبعين ذراعا، وينور له كالقمر ليلة)[118].

العمل الصالح جليس له في صورة رجل حسن الثياب والوجه

---

[117] أخرجه البخاري (1338)، ومسلم (2870) بنحوه.

[118] أخرجه الألباني في صحيح الترغيب (3552)، وخلاصة حكمه: حسن.

القبر موحد وموحش. حتى وإن كان دون عذاب، فبقاء الإنسان فيه وحيداً لسنين طويلة صعب لا يتحمله الإنسان في الدنيا. فبينما هو وحيداً في قبره يأتيه عمله الصالح في القبر في صورة رجل حسن الوجه والثياب. فيؤنسه ويذهب عنه وحدته ووحشته. قال صلى الله عليه وسلم: (ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح...)[119].

أرواح أطفال المسلمين مع إبراهيم في روضة خضراء

جاء في حديث طويل أن أرواح أطفال المسلمين تكون مع إبراهيم في روضة خضراء، وذلك في النص: (روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان، ... والشيخ في أصل

---

[119] أخرجه أحمد (18534)، وعبد الرزاق (6737)، وابن أبي شيبة (12185) مطولا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

الشجرة إبراهيم عليه السلام، والصبيان، حوله، فأولاد الناس). وهذا من فضل الله على من مات طفلاً من أبناء المسلمين. فله هذا الفضل دون أن يعمل أو يصل مرحلة النضج في الإسلام.

دار عامة المؤمنين

وعامة المؤمنين من رجال ونساء وصبيان يكونون في دار حسنة. قال في الحديث: (... فصعدا بي في الشجرة، وأدخلاني دارا لم أر قط أحسن منها، فيها رجال شيوخ وشباب، ونساء، وصبيان، ... والدار الأولى التي دخلت دار عامة المؤمنين ...).

كيفية النجاة من عذاب القبر

هناك أمور عدة تنجي المسلم من عذاب القبر وكلها بتحقيق رضى الله تعالى وإتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في فعل ما يمنع عذاب القبر. ومن ذلك:

تجنب ما يسبب عذاب القبر

تجنب الذنوب التي تسبب عذاب القبر، مثل الكذب والغيبة والزنا والربا والنوم عن الصلاة المكتوبة والفطر في رمضان والغلول والكبر وعدم الإستنجاء من البول والأمر بالمعروف وعدم الإتيان به وغيرها.

قراءة سورة الملك

فهي تنجي من عذاب القبر. فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال يؤتى الرجل في قبره فيؤتى رجلاه فتقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك ثم يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك

ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول ليس لكم على ما قبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب)[120]. هذا غير أن الإكثار من قراءة القرآن عموماً ينفع صاحبه كثيرا في القبر ويوم القيامة. ولقارئه بكل حرف عشر حسنات. وفي هذا جمع للكثير من الحسنات في وقت قصير وبمجهود قليل.

الموت يوم الجمعة

من البشارات التي وردت فيما يمنع عذاب القبر الموت يوم الجمعة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من مات يوم الجمعة وقي من عذاب القبر)[121].

الموت مرابطاً في سبيل الله

---

[120] رواه المنذري في الترغيب والترهيب، الصفحة أو الرقم: 320/2، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

[121] مسند أبي حنيفة، كتاب الصلاة، رقم 66.

من يموت مجاهداً في سبيل الله يُقى فتنة القبر. قال صلى الله عليه وسلم: (من مات مرابطا بالله، أمنه الله من فتنة القبر)[122].

الصدقة تطفئ حر القبور

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته)[123].

تحقيق رضى الله

---

[122] ذكره السيوطي في الجامع الصغير (9016)، وحكم عليه: حسن. وأخرجه الطبراني (114/8) (7480)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (4293) واللفظ لهما، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (165/2) باختلاف يسير.

[123] أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (3484)، خلاصة حكمه: إسناده جيد بالمتابعات. وأخرجه الطبراني (286/17) (788)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (3347) واللفظ لهما، وأخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (211/2) مختصرا.

لا شك أن أهم أسباب منع عذاب القبر أن يموت الإنسان والله عنه راضي. ويمكن تحقيق بالتوحيد والإستغفار والصدقات والأعمال الصالحة وغيرها.

العبادات

العبادات الأساسية التي كان يقوم بها في الدنيا، وهي الصلاة والصيام والزكاة والصدقة والصلة والمعروف والإحسان. وقد جاء في حديث أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أن الميت ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه وكان الصيام عن يمينه وكانت الزكاة عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه

فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل،)[124].

[124] أخرجه ابن تيمية في مجموع الفتاوى: 448/3، وحكمه: مشهور.

أنواع الموت

هناك مصطلحات وردت عن الموت في الكتاب أو السنة أو الطب، يستحسن التعرف عليها. منها:

الموت الدنيوي

وحقيقة الموت في هذه الحياة الدنيا (أو الموت الدنيوي) هي إنفصال الروح عن الجسد. وأما في البرزخ والآخرة فلا موت. حيث أن الإنسان سيبقى في البرزخ ثم يبعث في الآخرة ويصير إلى مصيره من جنة أو نار. فوجوده لا يفنى، ولكن يتغير من مرحلة إلى أخرى. وفي هذه الحياة نطلق اسم الموت على الإنتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية. وهذا ما نعتقده نحن كمسلمين. وربما يوافقنا أهل الكتاب في ذلك. ولكن الأمم الأخرى من الملاحدة والديانات غير السماوية معظمها لا يؤمن بالحياة البرزخية أو حتى البعث والنشور.

قال الله تعالى: (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[125].

الوفاة الصغرى والفرق بين النوم والموت

النوم هو شبيه الموت من حيث أن الإنسان تغيب روحه ولا يدرك ما حوله. ولذا سماها العلماء بالوفاة الصغرى. قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[126]. وقوله: {يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} يقصد بذلك "الوفاة الصغرى وهي النَّوم"[127]. وبين الله تعالى أنه يرسل الأنفس التي لم يحن موتها من نومها، وذلك في قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

---

[125] العنكبوت 64.

[126] الأنعام 60.

[127] الأساس في التفسير، كلمة في السياق، 4888/9.

الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[128].

ورغم التشابه بين النوم والموت إلا إن هناك فروق بينهما، منها:

- الموت هو صعود الروح دون رجعة إلى الحياة، بينما النائم يستيقظ وتعود إليه روحه.
- الميت دماغه يتوقف بينما النائم لا.
- الميت لا يتنفس بينما النائم يتنفس.
- الميت قلبه يتوقف بينما النائم قلبه لا يتوقف.
- النائم تستمر أعضاءه الأخرى بالعمل بينما الميت تتوقف أعضاءه عن العمل.
- النائم يرُفع عنه القلم حتى يستيقظ بينما الميت ينقطع عمله إلا من صدقة جارية أو علم يُنتفع به أو ولد صالح يدعو له.
- النائم يمكن إيقاظه بينما الميت لا.
- النائم يتحرك أحياناً بينما الميت لا.

---

[128] الزمر 42.

– الميت يشحب جسمه وتهمد أعضائه ويتوقف نبضه بينما النائم لا.

الموتة الأولى

ووردت أيضاً لفظة الموتة الأولى ويقصد بها الموت في الدنيا. قال تعالى: (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[129]. أي "لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا"[130].

موت الدماغ

توقف الدماغ أو المخ عن العمل هو أهم علامة للموت. وقد يموت الشخص دماغياً ولا يزال قلبه ينبض وأعضاء جسمه تقوم بمهامها. وقد يكون العكس: أي يتوقف القلب ولا يزال الشخص

---

[129] الدخان 56.

[130] التفسير الميسر 498/1.

حياً والدماغ يعمل، مثل ما يحدث في عمليات القلب التي يقوم الأطباء فيها بإيقاف القلب وتركيب أجهزة لضخ الدم. ولذا عند تشخيص الموت يُنظر إلى موت الدماغ. وذلك لأن المخ هو أهم عضو وبه الناصية التي قال الله عنها: (كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ)[131]. والدماغ فيه شخصية الإنسان ومكان الرئاسة التي تصدر منها الأوامر إلى الأعضاء. بل وحتى العمليات التي تحدث تلقائياً في جسم الإنسان تحتاج لإشارات دماغية وعصبية من المخ لتستمر. وقد جاء في مقال علمي أن "موت الدماغ بما فيه من المراكز الحيوية والهامة جداً فإذا ماتت هذه المناطق فإن الإنسان يعتبر ميتًا، لأن تنفسه بواسطة الآلة المنفسة مهما استمر يعتبر لا قيمة له ولا يعطي الحياة للإنسان. وفي هذه المرحل يمكن الإستئذان من أهل الميت في التبرع بالأعضاء لإنقاذ مرضى على شفير الموت"[132]. ويمكن للإنسان أن يعيش بدون قلب (بزراعة قلب

---

[131] العلق 15-16.

[132] مفهوم الموت بين الفقه والطب، أرشيف موقع الإسلام أونلاين، (بتصرف).

أو إستعمال قلب صناعي)، ولكن عيشه بدون دماغ أو بدماغ ميت لا فائدة منه. حيث لا وعي ولا وجود ولا علم ولا نظر ... وإستمرار الأجهزة في رعاية ذلك الجسد الميت دماغياً مكلف ولن يرد المريض إلى وعيه أو وجوده الطبيعي، كما أنه لا يستمر.

موت الفجأة

لقد إستعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من موت الفجأة. وذلك ربما لأنه يداهم الإنسان فيكون على غير إستعداد للموت. كما أن أهله سيُصدمون بذلك. فقد رُوى عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعاذ من سبع موتات موت الفجأة ومن لدغ الحية ومن السبع ومن الحرق ومن الغرق ومن أن يخر على شيء أو يخر عليه شيء ومن القتل عند فرار الزحف)[133]. وقد ذُكِر ضمن علامات إقتراب الساعة، حيث روى

[133] أخرجه أحمد شاكر في تخريج المسند لشاكر، 100/10، خلاصة حكمه: إسناده صحيح. وأخرجه البزار كما في ((كشف الأستار)) للهيثمي (782)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (173)، والبيهقي في ((الدعوات الكبير)) (353) باختلاف يسير.

عبد الله بن مسعود: (من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين وأن تتخذ المساجد طرقا وأن يظهر موت الفجأة)[134]. وقد روت عائشة – رضي الله عنها – عن النبي صلى الله عليه وسلم: (موت الفجأة راحة للمؤمن، وأخذه أسف للكافر)[135]. وربما عنت أن موت الفجأة يجعل الميتة سهلة وسريعة مما يجعل ألمها قليلاً ويكاد ينعدم لسرعته. ولكنه لا يعطى الميت فرصة ليستعد ويتشهد ويتوب ويتهيأ أهله. فربما لذلك تعوذ منه النبي صلى الله عليه وسلم. وموت الفجأة يدعو المسلم لئن يكون متهيأ للموت في كل وقت. وذلك بعلمه أنه قد يموت في أي وقت.

---

[134] أخرجه السخاوي في المقاصد الحسنة، 506، وخلاصة حكم المحدث: له طرق يتقوى بعضها ببعض.

[135] أخرجه أحمد (25042)، والبيهقي (6811) باختلاف يسير، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (3129) بنحوه.

أمور تتعلق بالموت

هناك أمور أخرى ذات صلة بالموت. نتطرق لبعضها لأهميتها:

مصيبة الموت

الموت هو أكبر مصيبة تصيب الإنسان في هذه الدنيا. فبه تنتهي فرصته في الحياة لعمل الصالحات. كما تنتهي به أمد عمره والمدة التي سمح الله تعالى بها لبقائه على وجه الأرض. فيفقد الحياة وملذاتها بكل ما فيها من نعيم وطعام وشراب ومال وجاه. ويفقده أهله وأحبابه وأصحابه. ويفقده زملاءه ومعلميه ومكان عمله. فيا له من فقد عظيم للميت ولمن حوله. وعند موت الإنسان يُقفل باب التوبة دونه. فلا رجعة بعده ولا توبة ولا استغفار ولا صلاة ولا شيء يساعده وينجيه. فما كان من عمله هو ما سيأخذه معه. قال تعالى: (فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ)[136].

---

[136] المائدة 106.

الخوف من الموت

إن الموت من الحقائق التي تخيف الإنسان بطبيعته. فمعظم الناس يكره الموت. المسلم والكافر منهم. وإن كان المسلمين يعلمون حقائق أكثر عن الموت وما ينتظرهم بعده. ويؤمنون بعذاب القبر والبعث والجزاء والجنة والنار. ولذا تجدهم أكثر خوفاً من الموت على الأغلب. وكثير من الكفار والغافلين من المسلمين يكونون أقل خوفاً من الموت. بل إن كثير من المسيحيين تجدهم يظنون أنهم ذاهبون إلى الجنة بعد الموت. وبعض القبائل الملحدة يحتفلون بالموت. وقد تكلم الله تعالى عن المنافقين الذين يفرون من الموت وذكر أنهم لن يستطيعوا النجاة منه. قال تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[137]. وقال: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[138]. وقال فيمن خرجوا

---

[137] آل عمران 168.

[138] الجمعة 8.

من ديارهم خشية الموت: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ)[139].

وربما جزء من هذا الخوف يرجع إلى الغموض والخفاء الذي يحيطه. فلا يعرف بني البشر عنه إلا القليل. لاسيما غير المسلمين منهم. وربما أيضاً لتغير شكل الأموات إلى أشكال مخيفة بعد الموت بفترات متفاوتة. وكذا إرتباط الموت بعالم الشعوذة عند كثير من الشعوب. ولا ننسى إرتباط الموت برحيل الإنسان عن هذه الدنيا وفقد أهله وأصحابه له. وكذا تيتم الصغار وترمل النساء وتبدل الوضع المالي التابع له للأسرة. وغيرها من الأسباب التي يمكن أن تخيف الإنسان.

الموت حق على كل نفس ولا يمكن الفرار منه

---

[139] البقرة 243.

إن الموت هو النهاية التي يواجهها كل حي. وهو حق كتبه الله على كل الأحياء. قال تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[140]. وقال: (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ)[141]. وهو يحدث منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام. وكل الناس يموت ... ولذا لا يمكن لعاقل نكران الموت. ولا يستطيع أحد الفرار منه. قال تعالى: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)[142]. ومهما بلغ الإنسان من القوة والمكانة الاجتماعية العالية فإنه لا يستطيع أن يفر من الموت أو ينجو منه. وإلا لنجا منه فرعون بكل ما كان يملك من سلطة ونفوذ. فلا يستطيع أحد إن حان أجله الفرار من ملك الموت. قال تعالى: (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ)[143].

---

[140] العنكبوت 57.

[141] الزمر 30.

[142] الجمعة 8.

[143] النساء 78.

النهي عن تمني الموت

لقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن تمني الموت. فنحن في إمتحان كبير وصعب في هذه الدنيا للإستعداد للآخرة ونحتاج فيه للوقت للتحضر إليه ونفوز فيه بالنجاة. ولا يعرف المرء أين مصيره حتى لو كان عمله صالح. ولذا لا يسرع الإنسان ويطلب الموت. قال صلى الله عليه وسلم: (لا يتمنى أحدكم الموت إما محسنا فلعله يزداد، وإما مسيئا فلعله يستعتب)[144]. وقال تعالى: (وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ)[145]. وبدلا من ذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء خير من تمنى الموت، حيث قال: (لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلا، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي)[146].

---

[144] أخرجه البخاري (7235).

[145] آل عمران 143.

[146] أخرجه البخاري (5671)، ومسلم (2680) باختلاف يسير.

كراهية نسيان الموت

على المسلم ألا ينسى الموت. فنسيانه يؤدي إلى الغفلة والإستغراق في الملذات والشهوات، والتي كثيرا ما تؤدي إلى الوقوع في المعاصي والمنكرات. وقد ذم الله من نسى الموت وأمر الآخرة. قال تعالى: (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)[147]. وأنكر على الناس حب الدنيا وإهمال الآخرة، حيث قال: (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)[148]. وتذكرة الموت توقظ قلب المرء وتساعده على التوبة والإنابة وتحي مخافة الله وتقواه في القلب. لذا حثنا النبي صلى الله عليه وسلم على زيارة القبور لتذكر الآخرة. قال صلى الله عليه وسلم: (ألا وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة)[149]. وفي القبور موعظة بليغة

---

[147] التكاثر 1-2.

[148] القيامة 20-25.

[149] أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (2487)، والحاكم (3292)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (442/1) باختلاف يسير.

... عندما يرى الإنسان قبور من مات قبله ويتخيل أنه سيكون في نفس موضعهم يستيقظ من سبات الغفلة ويخاف، ويجد في الإعمال الصالحة.

التوبة في كل حين وعدم إنتظار الكبر ودنو الأجل

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة في كل حين، وعدم الإنتظار حتى ما تأتي ساعات الإحتضار ودنو الأجل. قال تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[150]. والتوبة تمحي الله بها الذنوب ويبدل السيئات بالحسنات. قال تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)[151]. فيا لها من فرصة عظيمة من رب كريم. ومن منا ليس له ذنوب، وكلنا يخشى تلك الذنوب

---

[150] النساء 18.

[151] الفرقان 70.

والحساب عليها يوم الوعيد. فالحمد لله ... باب التوبه مفتوح والموت لم يحضر بعد. فيمكننا الرجوع والتوبة. قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)[152].

شعور الإنسان بدنو أجله

كثيرا ما يشعر الإنسان بدنو أجله، وذلك عن وقوع مسببات الموت أو قرب وقوعها. ومثل ذلك من مرض مرضاً شديد ... ومثل من أصابته رصاصة في دماغه أو واجه حيوان مفترس أو وقع من جبل أو وقع في بحر به تماسيح أو غيرها من الأسباب. ومثله أيضاً من أصيب بالسرطان وأخبره الأطباء أن المرض إنتشر في جسمه وتمكن. أو مرض بالإيدز أو السل أو الفشل الكلوي أو غيرها من الأمراض التي يصعب علاجها أحياناً. فإن مر بذلك عليه إن إستطاع كثرة الإستغفار والتحضر للنطق بالشهادة والتوبة من جميع الذنوب

---

[152] الزمر 53.

ورد الحقوق إلى أصحابها وإستسماح من ظلمهم وتهيئة أسرته وغيرها من الأمور. ويستحب له أن يكتب وصيته، ويقضى كل ديونه حتى لا تحبسه عن الجنة. وربما لو يعلم أهل بيته لكان أكثر إستعداداً وتصبراً.

من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

من علامات المؤمن كامل الإيمان هو تشوقه للقاء الله. والفرح بالبشرى والنجاة. قال صلى الله عليه وسلم: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه؛ فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه؛ كره لقاء الله، وكره الله لقاءه)[153]. وهذا كرم من الله وفضل عظيم لنا كأمة مسلمة.

---

[153] أخرجه البخاري 6507.

فمن نحن حتى يتشوق الله للقائنا حتى وإن تشوقنا للقائه. نحن مجرد أفراد من عبيده ومخلوقاته التي لا حصر لها. فالحمد لله على كرمه وتفضله معنا ... ونحن نشتاق إليه أيضاً.

لن يدخل أحداً عمله الجنة

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أننا لن ندخل الجنة بأعمالنا، بل برحمة الله. فأعمال الناس مهما صلُحت يشوبها التقصير والقلة وأحيانا يدخلها شيء من الرياء إن لم يتعهد المرء قلبه بإستمرار. قال صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحدا عمله الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت: إما محسنا، فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئا، فلعله أن يستعتب)[154]. وفي هذا الحديث فوائد دينية وعقدية جليلة، منها:

— أن نتوكل على الله وندعوه ونلجأ إليه وندعوه لينجينا في الآخرة.

---

[154] أخرجه البخاري (5673)، ومسلم (2816)

- ألا نغتر بأعمالنا الصالحة مهما كثرت.
- زيادة الخوف من الله ومن عقابه.
- زيادة عبادة الرجاء والأمل في الله وحسن الظن به.
- الإستعانة بالله وسؤاله التوفيق للعمل الصالح.
- الإستزادة من الأعمال الصالحة.

لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله

على الإنسان أن يعبد الله بين الخوف والرجاء. فالخوف من عقاب الله وعذاب النار وعذاب القبر يكون دافعه لترك المحرمات. ورجاءه في جنة الله يكون دافعه على عمل الصالحات. فإذا دنا أجله لا يموتن إلا وهو يحسن الظن بالله. قال صلى الله عليه وسلم: (لا يموتَنَّ أحدٌ منكم إلا وهو يُحْسِنُ الظنَّ باللهِ تعالى)[155].

[155] صححه الألباني في صحيح الجامع (7792). وأخرجه ابن ماجه (4167) واللفظ له، وأخرجه مسلم (2887) باختلاف يسير.

الأعمال بالخواتيم

لقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الأعمال بخواتيمها، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بخواتيمها كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله)[156]. والخواتيم عادة تعكس إخلاص الإنسان وعمله الذي كان عليه في حياته. فإن كان يرائي الناس بأعماله فليخشى على نفسه من سوء الخاتمة وليتب قبل أن تصيبه مصيبة الموت ويقفل باب التوبة دونه. وقد وردت قصة الرجل الذي جاهد حتى جُرح وظن الناس أنه سيكون شهيد، ولكنه استعجل الموت وقتل نفسه. والقصة كاملة في حديث سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – قال: (نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم، فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت، فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن العبد

---

[156] صحيح ابن حبان 339.

ليعمل، فيما يرى الناس، عمل أهل الجنة وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس، عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها)[157]. ومن هذا الحديث نأخذ فوائد، منها:

- العبرة بالخواتيم.
- الحديث فيه معجزة تبرهن على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كيف له أنه يعرف خاتمة الرجل.
- علينا تعهد قلوبنا والإخلاص فيها والعمل على نزع الرياء منها.
- يجب ألا نحكم على الناس بالمظاهر ونترك الأحكام لله تعالى. فكم من شخص لا يبدو عليه الصلاح ولكن خُتم له بالحسنى. وكم من حافظ للقرآن والقرآن يلعنه. وقد جاء في الحديث: (اصطبح الخمر يوم أحد ناس، ثم قتلوا شهداء)[158]. ومثله من مات تحت الهدم أو غريقاً أو مبطونا فنال الشهادة بسهولة ويسر دون جهاد ولا قتال. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

---

[157] أخرجه البخاري (6493).

[158] البخاري 4044.

النهي عن الترحم والإستغفار لمن مات مشركاً

لقد نهانا الإسلام عن الترحم على من مات مشركاً أو الدعاء لهم حتى ولو كانوا أباءنا. قال تعالى: (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ)[159]. وقد نهى الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم من الترحم حتى على أُمِّه لموتها مشركة. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما فخرجنا معه حتى انتهينا إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلا ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله ثم أقبل علينا فتلقاه عمر – رضوان الله عليه – وقال: ما الذي أبكاك يا رسول الله فقد أبكيتنا وأفزعتنا؟ فأخذ بيد عمر ثم أقبل علينا فقال: أفزعكم بكائي)؟ قلنا: نعم فقال: (إن القبر الذي رأيتموني أناجي قبر آمنة بنت وهب وإني سألت ربي الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزل علي: {ما كان للنبي

---

[159] التوبة 113.

والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}[160]، فأخذني ما يأخذ الولد للوالد من الرقة فذلك الذي أبكاني)[161]. وهذا نبي الله نُهي عن الترحم لأمه، فكيف بمن هو أقل في المنزلة والقرابة. وحتى المشرك الحي فلا ندعو له إلا بالهداية. وهذا النهي في باب الدعاء فحسب، فكيف بما فوقه.

ملائكة الرحمة وملائكة العذاب

لقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة الرجل الذي قتل تسع وتسعون نفسا، وجاء موته فأخذته ملائكة الرحمة. وذلك في قوله: (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله فقال له: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء

---

[160] التوبة 113.

[161] أخرجه ابن حبان في صحيحه، الصفحة أو الرقم: 981. وأخرجه الطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (2487)، والحاكم (3292)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (442/1) باختلاف يسير.

بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له). وفي هذا الحديث فوائد، منها:

- العبرة بالخواتيم.
- عدم اليأس من رحمة الله.
- التوبة تنجي العبد من ذنوبه، فعلينا بالمسارعة بها قبل دنو الأجل وقفل بابها دوننا.

الرجاء في غفران الله لمن خافه

لقد وردت قصة الرجل الذي حاول أن يهرب من عذاب الله لشدة خوفه منه. فعفى الله عنه. فقد في الحديث: (أنه كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما

حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له وقال غيره: مخافتك يا رب)[162]. ونأخذ فوائد من هذه القصة، منها:

- ليس هناك قنوط من رحمة الله.
- الخوف من الله هو سبيل النجاة. فبه يتهيأ الأنسان إلى التحضر للدار الآخرة وعمل الصالحات والتوبة والإنابة.
- وبالخوف ينال الإنسان رضى الله وعفوه. فقد قال الله عز وجل: (وعزتي وجلالي، لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين؛ إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا، أمنته يوم القيامة)[163].
- عدم الحكم على مصير الناس بمجرد أعمالهم. فقد يغفر الله لعاصي حتى بعد موته. وأصحاب الكبائر إن ماتوا دون توبة

---

[162] أخرجه البخاري (3481)، ومسلم (2756).

[163] أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج منهاج القاصدين، الصفحة أو الرقم: 305، خلاصة حكم المحدث: سنده حسن. وأخرجه البزار (8029)، وابن حبان (640)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (777).

فتحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم. وربما يعفو الله عن العاصي لصلاح قلبه كما حدث في قصة هذا الرجل. ويغفر الله لمن يشاء من عباده. قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[164]. ومع ذلك على المسلم أن يجتنب الذنوب والكبائر ولا يعتمد على عفو الله. لأنه ربما لا يغفر له ويُلقى به في عذاب النار ويطاله عذاب القبر.

الصبر على مصيبة الموت

على أهل الميت الصبر على مصيبة الموت وعدم إرتكاب أفعال وأقوال تغضب الله تعالى. فالموت حق علينا، وعلينا بتقبله والصبر عليه. فالصراخ والعويل لا يرجع الميت ويغضب الله تعالى. كما أنه وردت نصوص بتعذيب الميت ببكاء أهله. فإن كنتم حقاً تحبون الميت فلا تأذووه بالبكاء ... فذلك لن يخفف عنه بل يزيده ألما إلى

---

[164] آل عمران 129.

الشدة التي يمر بها في مراحل الموت. ولتصبروا وتحتسبوا الأجر عند الله. قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)[165]. وبدلا من الصراخ يمكن الدعاء له والترحم عليه واهداءه ثواب الأعمال الصالحة.

موسى والموت

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة سيدنا موسى – عليه السلام – وملك الموت، حيث قال: (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال: ارجع، فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه

---

[165] الزمر 10.

وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر)[166].

السام الموت

لقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم الموت بالسام. فقد روت عائشة – رضي الله عنها _ أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام. قلت: وما السام؟ قال: الموت)[167].

---

[166] أخرجه البخاري (1339)، ومسلم (2372).

[167] البخاري 5687.

أمور تتعلق بالموتى

هناك أمور أخرى ذات صلة بالموتى. نتطرق لبعضها لأهميتها:

المحتضر تمر عليه ذكريات حياته

قيل إن المحتضر يمر عليه شريط حياته ويتذكر أعماله وما حدث في حياته. قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ)[168]. في ذلك اليوم يندم على غفلته وكفره وتقصيره. ويسأل الله تعالى أن يرجعه إلى الدنيا ليعمل صالحاً ويتوب. قال تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)[169]. ولكم هيهات هيهات ... فلا رجعة بعد الموت ولا توبة. قال تعالى: (كَلَّا ۚ إِنَّهَا

---

[168] يس 12.

[169] المؤمنون 99-100.

كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[170]. فالله أعطانا هذه الحياة للعمل ... وليس عندما يأتي الموت نطلب ذلك ...

عدم قبول التوبة عند الموت

لقد بين الله تعالى أن باب التوبة يغلق إذا حضر الموت وإذا غربت الشمس من مشرقها. فإذا غرغر الإنسان للموت لا تقبل توبته بعد ذلك. قال تعالى: (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)[171]. وقال صلى الله عليه وسلم: (تُقبلُ توبةُ العبدِ ما لم يبلُغ الغَرغَرَةَ)[172]. فيجب على المرء تعجيل التوبة وعدم التسويف. وذلك لأنه لا يعلم متى يأتيه الأجل. وربما يموت في هذه الدقيقة أو تلك.

---

[170] المؤمنون 100.

[171] النساء 18.

[172] أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري لابن حجر، 360/11، وخلاصة حكم المحدث: صحيح

تعذيب الميت ببكاء أهله

يعذب الميت ببكاء أهله. وجاء ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه)[173]. فهلا يكف الناس عن البكاء ويدعون للميت بالمغفرة والرحمة ويتعظون بما أصابه للإسراع بالتوبة قبل أن يصيبهم ما أصاب ميتهم من مصيبة الموت.

الإستعاذة من فتنة القبر

فتنة القبر وعذابه شديد وأنواعه وأشكاله مفزعة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ منها بقوله: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس،

---

[173] البخاري 1286.

وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب)[174]. وكذلك بالدعاء في نهاية الصلاة. فعن أم خالد أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر)[175]. فعلينا إتباع سنته والإستعاذة من هذه الفتنة العظيمة التي ما نجا منها الكثير.

تحدي أهل الكتاب بتمني الموت

لقد تحدى القرآن أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم أولياء الله بأن يتمنوا الموت إن كان صادقين في زعمهم هذا. قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[176]. وقال في موضع آخر: (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن

---

[174] أخرجه البخاري (6375)، ومسلم (589) بنحوه

[175] أخرجه البخاري 6364.

[176] الجمعة 6.

كُنتُمْ صَادِقِينَ)[177]. وذلك حالهم منذ عهد النبي وإلى اليوم. فتجد النصارى اليوم يؤمنون بأنهم سيموتون ويذهبون إلى الجنة وتجد اليهود يزعمون أنهم أولياء الله. وليس لهم دليل في زعمهم هذا غير أناجيلهم المحرفة والتي تناقض بعضها بعضاً بعد أن بدلوا ما فيها. والله تعالى تكفل بحفظ القرآن ولكنه لم يتكفل بحفظ ما قبله. ونحن المؤمنون لا نزعم زعمهم ولا يظن أحدنا أنه سيدخل الجنة من باب الجزم. ومهما قمنا بأعمال صالحة فلا نزال نخشى عذاب الله وندعوه أن ينجينا ويرحمنا. وكان هذا ديدن النبي صلى الله عليه وسلم وهو خير الناس. ولذا يعبد المسلم الله بين الخوف والرجاء.

زيارة الأموات في الأحلام

يزور الأموات الأحياء في المنام لأغراض مختلفة. وأكثرها لطلب الدعاء أو الصدقة ونحوها. والأحلام بالموتى من الأقارب فيه تسلية للأحياء الذين يشتاقون لهم. ولا سيما رؤية الوالدين والأبناء

---

[177] البقرة 94.

من الموتى. وكذلك تذكرة ودعوة بالتصدق عنهم والترحم عليهم. وهذا من باب البر والصلة والرحمة بالوالدين والأقارب.

السلام على الأموات في المقابر

لقد حيا الرسول صلى الله عليه وسلم الأموات عند دخوله المقابر بقوله: "سلام عليكم دار قوم مؤمنين". وهناك صيغة أخرى وهي: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم". فعن أبو هريرة – رضي الله عنه قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون)[178]. وفي رواية: (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط

[178] صحيح أبي داود (3237).

ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم)[179]. وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويستحب القيام بها عند زيارة المقابر.

أجسام الأنبياء لا تأكلها الأرض

حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء. وقد مات سيدنا سليمان عليه السلام ولم تعرف الجن بموته إلا بأكل الأرضة لعصاه. قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ)[180]. وقال صلى الله عليه وسلم: (حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[181].

---

[179] أخرجه الألباني في صحيح النسائي، الصفحة أو الرقم: 2039، وخلاصة حكم المحدث: صحيح.

[180] سبأ 14.

[181] أخرجه أبو داود (1047)، والنسائي (1374)، وابن ماجه (1636)، وأحمد (16162) مطولا.

الدعاء للأموات

عندما يموت الإنسان ينقطع عمله إلا من دعاء ولده والصدقات الجارية والعلم الذي خلفه. وكذا دعا الناس ينفع الميت. وهو أفيد ما نستطيع أن ننفع به الميت. فليت النائحات في العزاء أكتفين بالدعاء له ... فذلك أنفع له وأفضل لهن من إصدار تلك الأصوات أمام الناس والتملق لهم.

الوصية والعدة والميراث والدين

هناك أمور تتبع الموت تتعلق بالأحياء من أقارب الميت لابد من التعرف عليها. وليس موضوعها هنا ولكن نذكر أطراف منها لإرتباطها بالموت، ويمكن بحث تفاصيها بالرجوع إلى كتب الإختصاص. ومنها:

الوصية عند حضور الموت

لقد وصانا النبي صلى الله عليه وسلم بالوصية. حيث قال: (ما حق امرئ مسلم، له شيء يريد أن يوصي فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده)[182]. وقال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ)[183]. أي "فرض الله عليكم إذا حضر أحدكم علامات الموت ومقدماته -إن ترك مالا- الوصية بجزء من ماله

---

[182] مسلم 1627.

[183] البقرة 180.

للوالدين والأقربين مع مراعاة العدل؛ فلا يدع الفقير ويوصي للغني، ولا يتجاوز الثلث، وذلك حق ثابت يعمل به أهل التقوى الذين يخافون الله. وكان هذا قبل نزول آيات المواريث التي حدَّد الله فيها نصيب كل وارث"[184].

وقد ذُكِرت وصايا بعض الأنبياء – عليهم السلام في القرآن الكريم. ومنها: وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه في قوله تعالى: (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[185]. وكذلك وصية إبراهيم عليه السلام حيث بنيه بالتمسك بالإسلام حتى الموت، فقال: (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)[186].

---

[184] التفسير الميسر، الباب 180، 27/1.

[185] البقرة 133.

[186] البقرة 132.

لا تجوز الوصية في أكثر من الثلث أو لوارث

لا تجوز الوصية في أكثر من الثلث، كما لا تجوز لوارث. وقال تعالى في شأن الشهادة على الوصية عند من حس باقتراب أجله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ)[187]. وفي هذا درس للأمة بالتوثيق. فهو خير ما يفصل النزاعات ويثبت الحقوق لأصحابها. قال بن باز رحمه الله: "والوصية ليست واجبة، بل مستحبة إذا أحب أن يوصي بشيء ... لكن إذا كانت عليه ديون أو حقوق ليس عليها وثائق تثبتها لأهلها، وجب عليه أن يوصي بها؛ حتى لا تضيع حقوق الناس، وينبغي أن يشهد على وصيته شاهدين عدلين، وأن يحررها من يوثق بتحريره من أهل العلم؛ حتى يعتمد عليها، ولا ينبغي أن يكتفي

---

[187] المائدة 106.

بخطه فقط؛ لأنه قد يشتبه على المسؤولين، وقد لا يتيسر من يعرفه من الثقات"[188]. "وأجمع علماء المسلمين أن الميت إذا مات عن بنين أو عن كلالة ترثه أنه لا يجوز له أن يوصي في ماله بأكثر من ثلثه. وممن قال بذلك مالك والليث والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهما. وحجتهم حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي أعتق ستة أعبد له عند موته لا مال له غيرهم فأقرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فأعتق اثنين وأرق أربعة فأمضى له من ماله ثلثه ورد سائر ماله ميراثا."[189].

قضاء دين المتوفي لكيلا يحبسه عن الجنة

يجب أن يقضى دين المتوفي من التركة قبل تقسيمها، حتى لا يحبسه عن الجنة، لقوله تعالى: (مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ

---

[188] نشر في كتاب (فتاوى إسلامية)، من جمع الشيخ/ محمد المسند ج3 ص: 35. (مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز 76/20).

[189] الاستذكار، باب الوصية في الثلث لا تتعدى، 272/7.

دَيْنٍ)[190]. فالدين يحبس صاحبه عن الجنة، ولذا كان الأولى قضاء دينه أولاً. وعن أبو قتادة أنه قال: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر، أيكفر الله عني خطاياي؟ قال: نعم، فلما ولي الرجل، ناداه رسول الله، أو أمر به فنودي له، فقال رسول الله: كيف قلت؟ فأعاد عليه قوله، فقال رسول الله: نعم، إلا الدين، كذلك قال لي جبريل)[191].وحتى الشهيد يُغفر له كل ذنب إلا الدين، لقوله صلى الله عليه وسلم: (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين)[192]. ويُستحسن للورثة إن لم يترك لهم ميتهم تركة تقضي دينه أن يقضوه عنه.

عدة زوجة المتوفي

---

[190] النساء 11.

[191] أخرجه مسلم (1885)، والترمذي (1712)، والنسائي (3156) واللفظ له، وأحمد (22595).

[192] مسلم 1886.

من توفى عنها زوجها فعليها العدة لمدة أربعة أشهر وعشرا إن كان دخل بها. قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)[193].

وقال بن باز – رحمه الله: "عليها في هذه العدة؛ ... وهو تجنب الزينة في الملابس ونحوها، لا تلبس الملابس الجميلة، ولا تكتحل، ولا تمس الطيب، ولا تلبس الحلي من الذهب والفضة والماس، ولا الملابس الجميلة حتى تكمل العدة"[194].

آية المواريث

وقد كانت الوصية للوالدين ثم نزلت آية المواريث ونسختها. وذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنه، حيث قال: (كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر

---

[193] البقرة 234.

[194] موقع بن باز، عدة المتوفى عنها زوجها، وما يجب عليها.

مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع)[195]. وهي الآيتين الطويلتين في سورة النساء واللتين فصلتا مقدار الإرث والمستحقين له، حيث قال تعال: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ

---

[195] البخاري 6739.

مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)[196]. ويمكن الرجوع لكتب الفقه لمزيد من التفصيل في ذلك.

[196] النساء 11-12.

أمور متعلقة بالقبور

هناك الكثير من الأمور والأخبار المتعلقة بالقبور. نسرد بعضها للعظة هنا:

زيارة المقابر فيها تذكرة

إن المقابر من الأماكن الموحشة، بل وحتى المخيفة. حيث ترى بها القبور ساكنة لا حراك. وعند تأملك في أن ما داخل هذه القبور كانوا أحياء مثلنا ... يضحكون ويتجمعون ويأنسون ... فانتهى الأمر بهم إلى حفر ضيقة تحت الأرض دون أنيس أو تسلية ... ولا نور ولا لون ولا هواء. فيا للهول من تلك الفظاعة. بل إن المقابر نفسها كثيرا ما تكون أشكالها مفزعة، حيث ترى بعضها مكسرا وبعضها دمرته عوامل الهواء والتعرية وبعضها به كومة رماد لا تدري من أين أتت؟ ولكن ندرى أن النبي صلى الله أخبرنا بأن هناك قبور تشتعل نارا على أهلها. فزيارة المقابر لابد وأن فيها تذكرة كبيرة للناس وتخويف وزجر وتدعوهم للتوبة والإنابة قبل فوات الأوان. قال

صلى الله عليه وسلم: (ألا وإني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة)[197].

موتى مسلمين لم تتغير أجسادهم

في الجانب الآخر لقد لُوحظ عدم تغير أجساد بعض الصالحين حتى بعد مرور وقت طويل. فمنهم من تم نقل قبره من مكانه ورُؤي في أحسن حال وعدم تحلل جسمه أو رائحته.

ظاهرة العيش في المقابر

لقد عرضت مشاهد صورت في المقابر لأسر تسكن فيها. وذلك نتيجة الفقر المدقع. ومن ناحية نفسية وصحية لا يبدو ذلك خيار جيد. وذلك لوحشة المقابر وظلمتها. فهو تبدو أماكن مهدمة

---

[197] أخرجه ابن حبان في صحيحه، الصفحة أو الرقم: 981. وأخرجه الطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (2487)، والحاكم (3292)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (442/1) باختلاف يسير.

ومخيفة وتنعدم فيها الإضاءة الجيدة عادة. كما أن السكن فيها يذكر الساكن بالموت بإستمرار. وهذا وإن كان مفيد للتذكرة، ولكن إستمراريته قد ينتج عنها حالات نفسية وخوف دائم، ولا يكون مكان مناسب لتنشئة أسرة وتربية أطفال. وطهي الطعام فيها صعب، وإن حصل قد لا يكون صحي لقلة المياه والمطابخ المهيأة للطبخ. وهذا قد يقود إلى أضرار صحية ونفسية بالغة. كما أن الحالة الاجتماعية ستتأثر سلبا بذلك، ولن يتشجع الناس للتواصل مع سكان المقابر. فهي أماكن موحشة ولا يرغب الناس بالترق لها أثناء ترفيههم وزياراتهم. قال صلى الله عليه وسلم: (لا ضررَ ولا ضِرارَ)[198].

سماع أصوات في المقابر وتكسير ودمار

لقد رصدت الكاميرات وما رواه الناس عن المقابر. فمنهم من سمع صراخ وأنين تعذيب أحد الموتى. وقد تم تصوير ذلك ونشره في الإنترنت حتى من قبل غير المسلمين. ومنهم من رأي تكسير

[198] أخرجه ابن ماجه (٢٣٤١)، وأحمد (٢٨٦٥) مطولاً.

ودمار في بعضها دون ما جاورها من قبور أخرى. وهذه الأمور تخيف الإنسان وتجعله يتيقن بحقيقة عذاب القبر. نسأل الله السلامة منه. وقد أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عذاب القبر في أحاديث كثيرة. منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر)[199].

إشتعال قبور الكفار والعصاة

ومنها إشتعال الشملة نارا على الذي غلها من الغنائم. وقد شاهد الناس في عدة قبور نياراً ورماد ووثقت ذلك الكاميرات في عدة القنوات. ومن ذلك عرض قوم فرعون على النار في قبورهم. قال تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)[200].

---

[199] أخرجه مسلم 2868.

[200] غافر 46.

امرأة يلفظها القبر

لقد إنتشر خبر من أحد مغسلي الأموات بأن هناك امرأة يلفظها القبر عندما أرادوا أن يدفنوها.

لا تجعلوا بيوتكم قبورا

نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن جعل بيوتنا قبورا بعدم الصلاة فيها. قال صلى الله عليه وسلم: (صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبورا)[201].

[201] أخرجه البخاري (1187)، ومسلم (777).

أمور متعلقة بالبعث والآخرة

الرد على منكري البعث

أخبرنا الله تعالى في كثير من الآيات عن البعث والحساب. وأكد على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في الكثير من الأحاديث. فلا يمكن لعاقل بعد كل هذه النصوص من أن ينكر البعث والحساب. وهو إيمان ليس المسلمين فحسب بل وأهل الكتاب وحتى كثير من الديانات غير السماوية. فمعظم الشعوب تؤمن بيوم القيامة والبعث بعد الموت، وإن كان إيمانهم يكون بطريقتهم حسب طقوسهم ومعتقداتهم الدينية. وقد برهن الله على قدرته على البعث بقدرته على إحياء الأرض بعد موتها وإخضرارها. وذلك في قوله تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[202]. وأيضاً بقدرته على خلق السماوات والأرض، وذلك في قوله: (أَوَلَمْ

---

[202] فصلت 39.

يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[203].

وقد سأل سيدنا إبراهيم الخليل الله تعالى أن يريه كيف يحي الموتى. فأراه الله مثال حي أمامه بإحياء الطير بعد موتها وتقطيعها. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[204].

ورغم من ذلك لا تزال كثير من الأمم الملحدة والكافرة في أنحاء العالم لا تؤمن بوجود الله ولا البعث والحساب. ومنهم كفار قريش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ

---

[203] الأحقاف 33.

[204] البقرة 260.

الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ)[205]. وقد رد الله على من ينكر البعث بعد الموت في رد حاسم وبكلمات قلائل. وهذا من بلاغة القرآن وقوته. حيث سألهم أليس من استطاع أن يخلق الإنسان من نطفة منى ثم علقة ثم مضغة يمكنه أن يبعث الموتى ويعيدهم للحياة. بلى إنه لقادر وهذا لا ينكره إلا مكابر أو أعمى عن الحق. قال تعالى: (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى)[206]. وعن خباب بن الأرت – رضي الله عنه – قال: (كنت رجلا قينا، وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت، ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت، فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال: فنزلت: {أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال: لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم

---

[205] هود 7.

[206] القيامة 36-40.

اتخذ عند الرحمن عهدا، كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا})[207].

أمثلة تؤكد البعث وقدرة الله على إحياء الموتى

لقد ذكر الله لنا أمثلة حية كثيرة تؤكد أمر البعث وقدرة الله على إحياء الموتى، منها:

- وقوله: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[208].
- (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[209].

---

[207] أخرجه مسلم (2795) باختلاف يسير.

[208] الأنعام 36.

[209] الأنعام 36.

- (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[210].

- (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)[211].

- (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)[212].

ذبح الموت

لقد وردت نصوص عن ذبح الموت يعد دخول أهل الجنة والنار إلى منازلهم. منها ما جاء في الحديث: (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول:

---

[210] الحج 6.

[211] القيامة 40.

[212] الأعراف 57.

هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت. ثم قرأ: {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة}، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا {وهم لا يؤمنون}[213])[214]. في ذلك اليوم يتحسر الكفار على كل ما فعلوه. قال تعالى: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)[215].

---

[213] مريم 39.

[214] البخاري 4730.

[215] مريم 39.

الخاتمة والتوصية

فإن عذاب القبر أمر تم ثبوته بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. ولا ينكره إلى مكابر. وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم منه كثيرا. بل كان يدعو بعد الصلاة أن ينجيه الله تعالى منه. وهو خير الأمة وأفضلها. فعلينا بتجنب كل ما ورد فيه نص أنه يسبب عذاب القبر، كما علينا بالإكثار من الأعمال الصالحة والتوبة والإستغفار ومراجعة النفس. ثم الدعاء والدعاء ... فهو سلاح المؤمن.

هذا فإن أصبت فمن فضل الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان. ونسأل الله تعالى أن ينجينا بفضله ورحمته وأن يعفو عنا ويتجاوز عن سيئاتنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٣ هـ.
- التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.
- أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها)، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، طبعة دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

— سنن النسائي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

— سنن أبي داوود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، المكتبة العصرية، صيدا — بيروت، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد.

— سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي (ت ٢٧٩ هـ)، الطبعة الأولى، المؤلف أبو عيسى محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٩٩٨م.

— سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، دار إحياء الكتب العربية.

— الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

— لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

- الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، المؤلف: صهيب عبد الجبار، تاريخ النشر: ١٥ - ٨ - ٢٠١٤م.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.
- كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

- الزهد، المؤلف: أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.
- الأساس في التفسير، المؤلف: سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، الناشر: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- أثني عشر دليلا من القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيم، د. محمد بن علي بن جميل المطري، موقع الألوكة.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت

٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.

- معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ.
- موسوعة الدرر السنية، وموسوعة التفسير الموضوعي، وموقع موضوع، وموقع الشيخ بن باز.

- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.
- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ ابن الملقن (٧٢٣ – ٨٠٤ هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط، جمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

- المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت ٢٣٥ هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، الناشر: (دار التاج - لبنان)، (مكتبة الرشد - الرياض)، (مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
- التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.

تم بحمد الله، إن أصبت فبفضل الله وكرمه

وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان

كتبته د. منال أبو العزائم